3me Année, No. 117.

Lundi-30-9-1935

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الأقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولي رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١١٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢ رجب سنة ١٣٥٤ — ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٥ » السنة الثالثة

فهرس العـــدد

صفحة

١٥٦١ عبرة الحادثات ... ... : الدكتور عبد الوهاب عزام ...

١٥٦٣ نظرة في النجوم ... : الأستاذ أحمد أمين ... ...

١٥٦٥ الجمال البائس ... ... : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي

١٥٦٨ لاحياء الآداب العربية : الأستاذ محمد عبد الله عنان ...

١٥٧١ حول ١٤ سبتمبر ... : الأستاذ محمد محمود جلال ... ...

١٥٧٣ الاعدام ... ... : الأستاذ علي الطنطاوي ... ...

١٥٧٦ الشعر الأموي ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...

١٥٧٩ خطاب أندره جيد في مؤتمر الكتاب : تلخيص ماجد شيخ الأرض ...

١٥٨١ الدكتور محمد اقبال : أبو النصر أحمد الحسيني الهندي

١٥٨٤ الكائنات الغيبية في شعر شكسبير ... : خيري حماد ... ...

١٥٨٦ فن الحياة (قصيدة) : الأستاذ عبد الرحمن شكري ...

١٥٨٦ كأس تفيض « : الأستاذ محمود غنيم ... ...

١٥٨٨ تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا ... ... : الأستاذ خليل هنداوي ... ...

١٥٩٠ حروب طروادة (قصة) : الأستاذ دريني خشبة ... ...

١٥٩٣ الباقي على قيد الحياة « : لبراك : ترجمة حسن محمد حبشي

١٥٩٧ سرقة أدبية !... ... : الأستاذ علي الطنطاوي ... ...

١٥٩٧ حول سيرة تيمور لنك : الأستاذ محمد شفيق ... ...

١٥٩٧ مكانة الفن في نظم التربية ... ...

١٥٩٨ هجرة الكتاب والعلماء من ألمانيا . الرياضة والمخدرات ...

١٥٩٩ ثلاث رسائل بخط ياقوت الحموي (كتاب) : الدكتور عبد الوهاب عزام ...

٢٦٠٠ الاسلام الصحيح (كتاب) : الأستاذ محمد بك كرد علي ...

عبرة الحادثات

للدكتور عبد الوهاب عزام

المدنية الأوربية، على خيراتها وما أجدت على الناس من علمها ورفاهيتها، مدنية مادية دعائمها المعادن والأحجار، يصاغ قلبها من الذهب والحديد وأشباههما، ويغذى بالفحم والنفط وأخواتهما، وتدور بها دواليب المصانع والمغازل والمناسج. قد استحكمت فيها الآلات، وأتقنت الصناعات حتى أغنت عن الانسان أدواتها، ونابه عتادها، فثارت العداوة بين الآلات وصانعيها وعمالها ومالكيها. وقد أوحى ذلك إلى بعض الأمريكيين فاخترعوا إنساناً آلياً يخدم خدمة الإنسان ويتحرك حركاته، وهل الانسان في المصانع إلا آلة سريعة العطب؟

طبع إنسان هذا العصر آلياً دائراً لا يألف الاستقرار ولا يعرف السلام، ولا تمكن في قلبه المحبة، ولا تستقر في سريرته الشفقة. واستكلبت هذه الآلات على غذائها، وتنافست في أقواتها، وأحس كل أنها القوة لا العدل، والغلبة لا الانصاف، فنفخوا في الأمم روح العصبية، وغرور العنجهية، وزعم كل قبيل أن أوّله

خير الأولين ، وأنه سيد الحاضرين ، وأن بنيه سادة الآتين ، وأن الأرض كلها له ، وأن الويل لمن جادله . ثم ما شئت من أناشيد مثيرة ، وتربيـة هائجة ، وايقاظ الوحشية فى النفوس ، واشعال البغضاء فى الأفئدة ، حتى صار الناس على رغم العلم والفلسفة وعلى ما قربت بينهم الوسائل الحديثة أميل إلى الحرب والجلاد ، وأحب للتخريب والتدمير من أناسيّ القرون الخالية ؛ فبينا تراهم فى ظاهر من السلام والوئام ، يتغنّون بحضارتهم ، ويمكفون على دراستهم ، ويتكلمون فى العدل والحرية والاخوة ، إذ تحكمهم التجارب قدح الزناد ، فاذا النار تحت الرماد ؛ تغلب عليهم الطباع الحربية ، وتسيطر عليهم الحياة الآليّة ، فاذا الأمم كلها جنود ومصانع للسلاح والمدمرات ، وإذا الأوربى كالذئب الذى لبس جلد الشاة ثم خلعه

ومهما يكن حظ القوم من العدل والنصفة ، ونصيبهم من المودة والألفة ، فذلك فيما يشجر بينهم من خلاف . فأما أهل الشرق سكان آسيا وأفريقية من الأمم الملونة فليس لهم فى العدل حماية ، ولا فى القانون نصفة ، « ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميّين سبيل » . وما يزال صدى الأحداث يدوّى فى آذاننا ، وحسبك حروب طرابلس والبلقان والريف . فان ساغ لأوربى أن يطمئن إلى عدل أوربا وانصافها ، وقوانينها وجماعة أممها ، فليس للشرقى أن يكن إلى ذلك ، فهو مال مباح ودم مهدور

* * *

وتلك أمة ينفخ قادتها فيها الغرور والعُجب ، ويذكرونها مجد الرومان وغابر الزمان ، حتى انتفخت أوداجها وورمت أنوفها . ثم صاحوا فيها قد بطشنا بطرابلس عشرين عاماً حتى دوختاها ، وذللنا دانيها وقاصيها ، ولكنها لا تنى بحاجتنا ولا تسد مطامعنا . ونظروا فاذا فى أفريقية دولة واحدة مستقلة حفظ عليها استقلالها من دون أمم أفريقية أنها دولة نصرانية لم يستبح المغيرون أن يجعلوها كالمدين ، ولكنها على نصرانيتها أمة سوداء ضعيفة تسكن أرضاً واسعة ، صاح زعيمهم هلمّ إلى الحبشة ! فانبرت العقول تخترع الأوهام والتعلّات ، والألسن تفترى الكذب ، والأقلام تخطّ الأباطيل . وطفقوا يعيدون قصة الذئب والحمل حيناً ، ويصرحون بمكنون ضمائرهم حيناً . وصار الشر إلى الحبشة فى جيوشه ومقترياته

ويشفق بعض الدول من هـــذه الغارات ويخاف عقباها فيستغيث الحق والعدل ، وحماية الضعيف ، والاقتصاص من القوى . وتتوالى نُذُر الحرب ، وتطيف بمصر مقدماتها ، وتقف مصر بين دولة محتلة ، وأخرى مجاورة ، تشقها الطريق بين الحبشة وإيطاليا . تهيب مصر بجيشها فاذا جيش ضئيل ، وسلاح كليل ! وتدعو بينها فاذا نفوس أبيّة ، وسواعد قوية ، ولكنها لم تدرّب للقتال ، ولم تُعدّ للنضال ، ولم تشهد الزحوف ، ولم تعتد التعرض للحتوف ، ولم تحمل السلاح ، ولم تمرس بآلات الكفاح ؛ أنفس عزيزة وأمة ذليلة ! ويقول من أبى على الأمة أن تأخذ للأيام أهبتها . وتُعد للخطوب عدتها : لا تُراعوا ، هأنذا أدفع عنكم ! فاشكرونى ولا تكفرونى . ولو ترك لنا من قبل أن نعبئ جيوشنا ونعد سلاحنا لكان شكرنا أعظم وأجدى ، وكنا فى أنفسنا أعز وأقوى ، وأنّى يُعز من يدفع عنه فى عقر داره ، ولا يعوّل عليه فى حماية نفسه :

ودرى من أعزّه الدفع عنه فيهما أنه العزيز الذليل

هذا موقف الذلة والمهانة ، والضعة والاستكانة ، موقف من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ولا يجلب لها خيراً ولا شراً — رب عيش أخف منه الحمام !

ذلكم درس للحادثات مبين ، وعظة للخطوب بليغة ، فعلى المصريين راعيهم ورعيتهم ، ودهماؤهم وقادتهم ، أن يفهموا الدرس ويعوه ، ويتدبروا الموعظة وينتفعوا بها . وبما تنجل عنه السحب المكفهرة ، وتتكشف عنه الحادثات المنذرة ، فليعملوا برأى واحد ويد واحدة ، ويتوسلوا بالعزم والحكمة حتى لا يقفهم الزمان هذا الموقف مرة أخرى ، « إن فى ذلك لذكرى »

عبد الوهاب عزام

نظرة فى النجوم

للأستاذ أحمد أمين

مما أرثى له أن أرى الشرقيين وخاصة سكان المدن لا ينتفعون بسُطُوح منازلهم الانتفاع الواجب ، فهم قلما يصعدون اليها إلا عند تركيب قوائم الراديو أو حبال الغسيل أو تخزين ما يستغنى عنه فى حجر السطح ، وهم يحبون أن يلتصقوا بالأرض ولا يحلقوا فى السماء، وينزلوا بحضيض المنازل ولا يسموا الى أوجها

وفاتهم أن من خير متع الحياة « سطوح المنازل » لاسيما فى جو بديع بكونا ، تصفو فيه السماء فى أكثر أشهر السنة ، ويهب فيه النسيم العليل ليلا ، ويمتد فيه البصر ، وتنشرح فيه النفس ، ولياليه بين ليال مقمرة بديعة لا تمل العين نجالها ، وليال غاب فيها القمر فقامت النجوم مقامه تناغيك وتحدثك وتملأ قلبك روعة ونفسك حياة

تبا للأعين التى تنظر دائما الى تحت ، ولا تنظر الى فوق ، والى الأسفل لا الى الأعلى ، ويلذ لها أن تنظر الى السافلات القريبة والى ما تلمس ، ولا تنظر الى البعد السحيق والمنظر البعيد . إن العين إذا اعتادت ذلك قلصتها النفس فلم تنظر الى الأمل البعيد ولم تلتذ بالطموح ، ولم تسعد بالأمل ، وقنعت بما هى فيه ورضيت بالدون وتشاغلت به ، وصدها ذلك عن أن تنشد الكمال ، للارتباط الشديد بين عالم الحس وعالم العقل وعالم الروح

ولقد كان آباؤنا الأولون أكثر منا عناية بالسماء ، حتى العرب فى بداوتهم أطالوا النظر فى النجوم وانتفعوا بجوهم المفتوح ، وسمائهم الصافية ، فعرفوا كثيراً منها ، ووضعوا لها أسماءها ، وكان لهم فيها ملاحظات دقيقة ، وأشعار رقيقة ؛ أما نحن فقل أن نعرف من أسماء النجوم إلا الشمس والقمر ، وجهلنا بأسماء مشاهيرها جهل فاضح لا يتفق وسماءنا البديعة . وأما شعراؤنا — سامحهم الله — فأكثرهم لا يشعر فى السماء والنجوم إلا تقليدا ، وقد يبرح به ألم الهجر فى غرفته المسقوفة وقد أغلقت شبابيكها وأسدلت ستائرها ومع ذلك يشكو النجوم وثباتها وهو لا يرى سماء ولا نجوما

لو كان فى أوروبا جو مكشوف دافىء يكونا ، لعرفوا كيف ينتفعون بالسماء كما انتفعوا بالأرض ، ولاتخذوا من سطوح منازلهم مقاماً للسمر الحلو والتأمل الممتع ، ولاتخذوا منها منتديات ومقاه ومسارح للسينما والتمثيل وأماكن للمحاضرات فانتفعوا بجمال الجو وبجمال منظر السماء وبجمال منظر السينما والتمثيل وبجمال الحديث معاً ، ولو فعلنا لارتحنا من عناء التسولين والمتجولين وماسحى الأحذية إلا أن يصعدوا الينا فى السماء

* * *

نعمت هذا الشهر بسطح منزلنا ، وأكثرت من التحدث إلى النجوم ، والاصغاء إلى حديثها ، ومللت إلى قراءة شىء من أخبارها ، فملأت قلبى حياة ، وعقلى هدوءا ، وأعصابى راحة

وكنت كلما شكوت من شىء بثثت شكواى إلى النجوم فتبخرت ، وكلما تدنست فى جو الأرض تطهرت فى جو السماء ، فان آلمتنى السياسة بألاعيبها وخداعها ، والأولاد بمضايقاتهم ومتاعبهم ، والخدم برذائلهم ، والبيئة بمشاكلها وصغائرها ، علوت إلى السطح وانسطحت على سجادة ، ووصلت أسباب ما بينى وبين النجوم فزال كل ألم ، واحتقرت كل ما ضايقنى ، وعشت فى عالم جديد لذيذ مريح ، ورأيت أنى غسلت نفسى كما يغسل الثوب فى البحر الواسع

عظيمة هذه النجوم وجميلة وجليلة ! فان رأيت نجوم المجرة وعلمت أنها تبلغ عدتها الملايين ، وأنها تسير بسرعة هائلة ، وأن بعض النجوم يقطع نحو ٢٤٠ كيلو مترا فى الثانية ، وبعضها يقطع نحو ٤١٠ كيلو فى الثانية ، وأن بعضها بلغ من البعد عنا ما لا يصل الينا ضوؤه إلا فى آلاف السنين ، أيقنت بهذه العظمة ؛ وشعرت فى أعماق نفسك بحقارتك وحقارة مشاغلك وحقارة أرضك كلها — وإن علمت أن فى السماء آلافاً من الشموس تكوّن كل شمس منها مجموعة من النجوم كمجموعتنا الشمسية ، سبحت فى عالم من العظمة لا حد له ، وتساءلت فى كثير من الحيرة والاعجاب إلى أى طريق هى مسوقة ، وإلى أى طريق نحن مسوقون معها ؟ وقلت كما قال أبو الشبل البغدادى :

بربك أيها الفلك المدارُ	أقصدٌ ذا المسيرُ أم اضطرار
مدارُك قل لنا فى أى شىء	فنى أفهامنا منك انبهار
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء	سوى هذا الفضاء به تدار ؟

ثم رددت الطرف خاسئاً وهو حسير ؛ ولكنها حسرة لذيذة لا أرضى بها بديلاً

أيتها النجوم . كم من الناس نظروا إليك فأعجبوا بعظمتك وجمالك وجلالك ، وكم من الشعراء تغنوا بك ، وتفننوا في الاشادة بذكرك ، وعابوا عليك سرعتك أيام الوصال ، وبطئك أو وقوفك أيام الهجران

وكم حارت فيك العقول فظنوك آلهة وعبدوك من دون الله ، وأقاموا لك الهياكل والتماثيل ، ثم تقدموا قليلاً فأنزلوك من مقام الألوهية قليلاً ، وجعلوا لك أثراً كبيراً في أحداث الأرض ، فلك أثر في الرياح والأمطار والسعادة والشقاء ، وربطوا مواليد الناس بك ، وجعلوا سعادتهم وشقاءهم من أجلك ، وحتى الفلاسفة العظام أمثال أرسطو أعمتهم عظمتك عن أن يدركوا حقيقتك فأسندوا إليك عقولاً كباراً وجعلوا منزلتك في الفكر والعقل فوق منزلة الانسان ، وسبحوا في الخيال فأسسوا نظاماً وهمياً للأفلاك وتدرجها في الأثر حتى تصل إلى عالمنا — وخدع الناس بك فبنيت لك المراصد لمراقبة حركاتك ، وأقنع المنجمون الناس بتأثيرك فسمعوا لقولهم ، واتخذ الملوك المنجمين يعتمدون عليهم في تدبير مملكتهم ، كما يتخذون الأطباء لتدبير أجسامهم ، فلا يضعون بناء إلا بعد رصدهم لك واشارتهم بأنك ستمنحين السعادة لبنائهم ، ولا يحاربون إلا برأي رجالك وتخير أوقات زمانك

وكم شغل الناس بطوالعك ، وتخيروا أوقات زواجهم محسوبة بحسابك ، وتنبأوا — بمعونتك — بموت فلان وحياة فلان وأنت أنت فوق ذلك كله لا تعبئين به ولا تلتفتين إليه . كأن أمرهم لا يعنيك ، وشؤونهم لا تهمك ، وتتابعت الأجيال ومرت السنون ، وفنيت أقوام وجدت أقوام وكلهم يمنحونك اعجابهم وأنت في علاك وسيرك وسرعتك دائبة أبداً

وأتى العلم الحديث فنير فيك الأفكار ، وساواك بالأحجار ، وجعل قمرك الجميل كأرضنا غير الجميلة ، وسلب عنك العقل والفكر وأخضعك لنواميس الطبيعة وأبان خرافات الأقدمين فيك — ومع ذلك أقر بجلالك وأخذ بدقة نظامك ، وأقر بجهله أن يحيط بك ، وأن يتعرف كل قوانينك — فأنت أنت أيام الجهل وأيام العلم ، وأيامنا وأيام آبائنا

وبينا أنا في ذلك كله ، وفوق ذلك كله ، إذ دعاني الخادم إلى التليفون فنزلت من السماء إلى الأرض

— آلو

— فلان — لعلك تذكرني

— أهلاً وسهلاً

— أريد أن أقابلك

— هل من شيء ؟

— لقد تخرجت من كلية الآداب واشتغلت في عمل لا يناسبني ، وماهية لا تليق بي ، واخواني كلهم خير مني ، فلي سنوات لم آخذ علاوة ولم أرق إلى درجة

— نعم

— والآن هناك حركة ترقية وأريد مساعدتك

ثم حوار طويل ، ورجاء مستمر ، وشكوى بؤس ، وعائلة يعولها ، وماهية لا تكفيها ، ودنيا ضاقت به وبها

* * *

في أي تفكير كنت ، وإلى أين صرت ، هذه السماء وهذه الأرض ، أين هذا العالم العظيم السعيد الذي كنت أحلم به من هذا العالم الحقير التافه الذي تقلني اليه التليفون والذي يمضي فيه أكثر الناس أكثر أعمارهم ، لقد غطشني بحديثه في ماء مثلج ، فلأصعد ثانية إلى السماء ولأعاود ما كنت فيه . . . لا — لم تعد للفكر لذته ولا لحديث النجم متعته

* * *

لقد قلب علم الفلك عقلية الانسان وأساء لي عقب ، فقد كان يظن أنه سيد العالم ، وأن أرضه هذه هي مركز العالم ، وأن الشمس والقمر والنجوم تدور حولها فأبان له العلم أن أرضه ليست إلا هنة تسبح في الفضاء ، وأنها شيء تافه في المجموعة الشمسية التي تدور حول الشمس ، وأن كل العالم من أرض ونجوم خاضعة لقوانين واحدة كقوانين الجذب وما إليها ، وأنه إن كانت أرضه هنة فكيف به هو — كل هذا غير عقلية الانسان وأنزله من شامخه وسلبه غروره فأخذ يفكر تفكيراً جديداً وينظر لنفسه وللعلم نظراً جديداً ويربط نفسه بالعالم ، ويرى أنه هو والعالم وحدة ، وأن هذه الوحدة تخضع لقوانين ثابتة استكشف أقلها وغاب عنه أكثرها ، ما استكشف منها يدل على عظمة باقيها وعمومها وسيطرتها — ولكن شيئاً واحداً لم يتغير في الانسان وهو ارتباط عواطفه بالنجوم ، وأنها تجد السبيل دائماً لقلبه ، وتوحي إليه بعظمة ربها وربه

أحمد أمين

٢ ـ الجمال البائس

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

جاءتْ أحلى من الأمل المعترض سَنَحَتْ به فُرصة ؛ وعلى أنها لم تَخْطُ الينا إلا خَطْوةً وتمامَها ، فقد كانت تجدُ في نفسها ما تجده لو أنها سافرت من أرضٍ إلى أرضٍ ، ونقلها البُعدُ النازحُ من أمّةٍ إلى أمة

يا عجباً ! إن جلوسَ انسانٍ إلى انسان بازائه قد يكون أحياناً سفَراً طويلاً في عالَم النفس ؛ فهذه الحسناءُ تعيشُ في دنيا فارغة من خِلال كثيرة ، كالتقوى ، والحياء ، والكرامة ، وسمو الروح ، وغيرها ؛ فاذا عَرَضَ لها من يُشعِرُها بعضَ هذه الخلال ، ويَنْتزِعُها من دنيا اضطرارها وأخلاقِ عيشها ولو ساعة — لما تكون قد وجدتْ شخصاً بل كشَفَتْ عالَماً تدخله بنفسٍ غير النفس التي تُدَبِّرها في عالَم رزقها . . .

ولا أعجبَ من سحر الحب في هذا المعنى ؛ فان العاشقَ ليكونُ حبيبُه الى جانبه ، ثم لا يُحسُّ إلا أنه طوى الأرضَ والسمواتِ ودخل جنةَ الخُلد في قُبلة . . .

* * *

جلستْ الينا كما تجلسُ المرأةُ الكريمةُ العفيفةُ ، تُعطيك وجهها وتبتعدُ عنك بسائرها ، وتُريك الغُصْنَ وتخبأ عنك أزهارَه . فرأيناها لم تستقبل الرجلَ منا بالأنثى منها كما اعتادت ؛ بل استقبلتْ واحياً برعاية ، وتلطفاً بحَنَان ، وأدباً من فن بأدب من فن آخر ؛ وكان هذا عجباً منها ، فكلمها في ذلك الأستاذ (ح) فقالت : أما واحدةٌ فاننا نتبعُ دائماً محبّةَ من نجالسهم وهذه هي القاعدة . وأما الثانية فاننا لا نجد الرجلَ إلا في الندْرة ؛ وإنما نحن مع هؤلاء الذين يَتَسَوَّمون بسيما الرجال — كحيلة المحتال على غفلة المغفل ، وهم معنا كالقُدرة بالثمن على ما يشتريه الثمن ؛ ليسوا علينا إلا قهرا من القهر ؛ ولسنا عليهم إلا سلْباً من السلب ، مادةٌ مع مادة ؛ وشرٌّ على شر ؛ أما الانسانيةُ منا ومنهم فقد ذهبتْ أو هي ذاهبة

قال (ح) : ولكن . . .

فلم تدعه يستدرك ، بل قالت : إن « لكن » هذه غائبة الآن . . . فلا تجيءْ في كلامنا . أتريد دليلا على هذا الانقلاب ؟ إن كل إنسان يعلم أن الخط المستقيم هو أقربُ مسافةٍ بين نقطتين ؛ ولكن كلَّ امرأةٍ منا تعلم أن الخط المعْوَجَّ هو وحده أقربُ مسافةٍ بينها وبين الرجل . . .

قالت : فاذا وجدتْ إحدانا رجلاً بأخلاقه لا بأخلاقها . . . ردَّتها أخلاقُه إلى المرأة التي كانت فيها من قبل ، وزادتها طبيعتُها الزَّهْوَ بهذا الرجل ، فتكون معه في حالة كحالة أكمل امرأة ؛ بيد أنه كمالُ الحُلُم الذي يستيقظُ وشيكا ، فان الرجل الكاملَ يكمُلُ بأشياء ، منها وأسفاه ! منها ابتعاده عنا .

ثم قالت : وصاحبك هذا منذ رأيتُه ، رأيته كالكتاب يشغَلُ قارئه عن معاني نفسه بمعانيه هو . . . .

* * *

وضحكت أنا لهذا التشبيه ، فمتى كان الكتابُ عند هذه كتاباً يشغلُ بمعانيه ؟ غير أني رأيتها قد تكلمتْ واحتفلَتْ ، وأحسنتْ وأصابت ، فتركتها تتحدث مع الأستاذ (ح) وغبتُ عنهما غيبةَ فكر ؛ وأنا إذا فكَّرتُ انطبق عليَّ قولهم : خَلَّ رَجُلاً وشأنَه ، فلا يتصل بي شيء مما حولي . وكان كلامُها يسطعُ لي كالمصباح الكهربائي المتوقِّد ، فقدَّمتها فكرها الىَّ غيرَ ما قدَّمت الىَّ نفسَها ، ورأيتُ لها صورتين في وقتٍ معاً ، إحداهما تعتذرُ من الأخرى . . . . .

وكنت قبل ذلك بساعة قد كتبت في تذكرة خواطري هذه الكلمة التي استوحيتُها منها : لأضعها في مقالة عنها وعن أمثالها وهي هذه الكلمة :

إذا خرجت المرأة من حدود الأسرة وشريعتها ، فهل بقي منها إلا الأنثى مجرَّدةً تجريدَها الحيوانيَّ المتكشِّفَ المتعرضَ للقوة التي تناله أو ترغب فيه ؟ وهل تعملُ هذه المرأةُ إلا أعمالَ هذه الأنثى ؟

وما الذي استرعاها الاجتماعُ حينئذ فترعاه منه وتحفظه له ، إلا ما استرعى أهلُ المال أهلَ السرقة ؟ إن الليلَ ينطوي على آفتين : أولئك اللصوص ، وهؤلاء النساء

وكيف ترى هذه المرأةُ نفسَها إلا مشوَّهةً ما دامت

رذائلها دائماً وراء عينيها ، وما دام بإزاء عينيها دائماً الأمهاتُ والمحْصَناتُ من النساء ، وليس شأنُها من شأنهن ؟ إن خيالها يُحرزُ في وعيه صورتَها الماضيةَ من قبل أن تَزِلّ ؛ فإذا خلت إلى نفسها كانت فيها اثنتان إحداهما تلمزُ الأخرى ، فترى نفسها من ذلك على ما ترى

وهي حين تُطالعُ مرآتَها لِتتبرّجَ وتحتفلَ في زينتها ، تنظرُ إلى خيالها في المرآة بأهواء الرجال لا بعينيْ نفسها ، ولهذا تُبالغُ أشدّ المبالغة ؛ فلا تُعنَى بأن تظهرَ جميلةً كالمرأة ، بل مُثمِرةً كالتاجر ... وتكسُبُها بجمالها يكون أولَ ما تفكر فيه ، ومن ذلك لا يكون سرورُها بهذا الجمال إلاّ على قدر ما تكسب منه ؛ بخلاف الطبع الذي في المرأة ، فإن سرورها بصحة الجمال عليها هو أولُ فكرها وآخرُه

إن الساقطة لا تنظر في المرآة — أكثر ما تنظر — إلا ابتغاءَ أن تتعهّدَ من جمالها ومن جسمها مواقعَ نظرات الفجور وأسبابَ الفتنة ، وما يَستهوي الرجلَ وما يُفسد العفّة عليه ، فكأن الساقطةَ وخيالها في المرآة رجلٌ فاسقٌ ينظر إلى امرأة لا امرأةٌ تنظر إلى نفسها ...

* * *

ذهبت أفكر في هذه الكلمة التي كتبتها قبل ساعة ، ولم أستطع أن ألبسَ في هذه القضية وجهَ القاضي ؛ فدخلتني رقةٌ شديدةٌ لهذا الجمال الفاتن الذي أراه يبتسم ، وحوله الأقدارُ العابسة ، ويلهو ، وبين يديه أيامُ الدموع ، ويجتهد في اجتذاب الرجال إليه ، والوقتُ آتٍ بالرجال الذين سيجتهدون في طرده عن أنفسهم

وتغشّاني الحزنُ ورأت هي ذلك وعرفته ؛ فأخرجت منديلها المعطّر ومسحت وجهها به ، ثم هزّته في الهواء فإذا الهواءُ منديلٌ معطرٌ آخر مسحتْ به وجهي ...

وقال الأستاذ (ح) : آه من العطر ! إن منه نوعاً لا أستنشيه مرة إلا ردّني إلى حيث كنت من عشرين سنةً خلَتْ ، كأنما هو مُسجِّل بزمانه ومكانه في دماغي ...

فضحكت هي وقالت : إن عطرنا نحن النساءَ ليس عطرا ، بل هو شعورٌ نثبته في شعور آخر

فقلت أنا : لا ريب أن لهذه الحقيقة الجميلة وجهاً غير هذا ؛

قالت : وما هو ؟

قلت : إن المرأة المعطرة المتزينة هي امرأة مُسلَّحة بأسلحتها ، أفي ذلك ريب ؟

قالت : لا

قلت : فلماذا لا يُسمى هـــذا العطرُ بالغازات الخانقة الغرامية ... ؟

فضحكت فُتوناً ؛ ثم قالت : وتسمى (البودرة) بالديناميت الغرامي ..

ونقلني ذلك إلى نفسي مرة أخرى ، فأطرقتُ إطراقة ؛ فقالت مابك ؟

قلت : بي كلمةُ الأستاذ (ح) ، إنها ألهبتْ في قلبي جمرةً كانت خامدة

قالت : أو حركت نقطة عطر كانت ساكنة ...

فقلت : إن الحبَّ يضع روحانيته في كل أشيائه ، وهو يغير الحالةَ النفسيةَ للانسان فتتغيرُ بذلك الحالةُ العقليةُ للأشياء في وهم المحب . (فعطرُ كذا) مثلاً .... هو نوعٌ شذيٌّ من العطر ، طيّبُ الشميم ، عاصفُ النشوة ، حادُّ الرائحة ، لكأنه ينشرُ في الجو روضةً قد مُلئتْ بأزهاره تُشمُّ ولا تُرى ؟ وإنه ليجعلُ الزمنَ نفسه عبقاً بريحه وإنه ليُشْعِمُ كلَّ ما حوله طيباً وإنه ليسحرُ النفسَ فيتحوّل فيها ...

وهنا ضحكتْ وقطعت عليّ الكلامَ قائلة : يظهر لي أن (عطر كذا) هاجرٌ أو مخاصم ...

قلت : كلا ، بل خرج من الدنيا وما انتشقتُ أرَجَهُ مرة إلا حسبتُه ينفَح من الجنة

فما أسرعَ ما تلاشى من وجهها الضحكُ وهيئتُه ، وجاءت دمعةٌ وهيئتُها . ولمحت في وجهها معنى بكيتُ له بكاء قلبي

جمالها ، فتنتها ، سحرها ، حديثها ، لهوها ؛ آه حين لا يبقى لهذا كله عينٌ ولا أثر ، آه حين لا يبقى من هذا كله إلا ذنوبٌ ، وذنوبٌ ، وذنوب

* * *

وأردنا أنا و (ح) بكلامنا عن الحب وما إليه ألا نوحشها

من انسانيتنا ، وأن نَبُلَ شوقها إلى ماحُرِمَتْه من قدرها قدرَ إنسانة فيما تَتَعَاطاه بيننا . والمرأةُ من هذا النوع إذا طمعت فيما هو أغلى عندها من الذهب والجوهر والمتاع — طمعت فى الاحترام من رجل شريف متعفّف ، ولو احترامَ نظرةٍ ، أو كلمة . تقنعُ بأقل ذلك وترضى به ، فالقليلُ مما لا يدرك قليله هو عند النفس أكثرُ من الكثير الذى يُنالُ كثيرُه

ومثل هذه المرأة ، لا تدرى أنت أطافتْ بالذنب أم طاف الذنبُ بها ؟ فاحترامها عندنا ليس احتراماً بمعناه ، وإنما هو كالوجوم أمام المصيبة فى لحظة من لحظات رهبـــة القدَر وخشوع الايمان

وليست امرأةٌ من هؤلاء إلا وفى نفسها التندُّمُ والحسرةُ واللهفة مما هى فيه ، وهذا هو جانبُهن الانسانىُّ الذى يُنظرُ اليه من النفس الرقيقة بلهفة أخرى ، وحسرة أخرى ، وندم آخر . كم يرحمُ الانسانُ تلك الزوجةَ الكارهةَ المرغمةَ على أن تباشرَ من تكرهه فلا يزال يغلى دمُها بوساوس وآلامٍ من البغض لا تنقطع ! وكم يرثى الانسانُ للزوجة الغيور ، يغلى دمُها أيضاً ولكن بوساوس وآلام من الحب ! ألا فاعلم أن كل امرأة من مثل هـذه الحسناء تحمل على قلبها مثل همّ مائة زوجةٍ كارهةٍ مرغمةٍ مستعبدة ، يخالطُه مثلُ همّ مائة زوجة غيور مكابدةٍ منافسةً ، ولقد تكون للمرأةُ منهن فى العشرين من سنها وهى مما يكابدُ قلبها فى السبعين من عمر قلبها

وهذه التى جاءتنا إنما جاءتنا فى ساعة منا نحن لا منها هى ، ولم تكن معنا لا فى زمانها ولا فى مكانها ولا فى أسبابها ، وقد فتحت البابَ الذى كان مغلقاً فى قلبها على الخفر والحياء ، وحوّلت جمالها من جمالٍ طابعهُ الرذيلةُ إلى جمال طابعُه الفن ، وأشعرت أفراحَها التى اعتادتها روحَ الحزن من أجلنا فأدخلت بذلك على أحزانها التى اعتادتها روح الفرح بنا

من ذا الذى يعرف أدبه يكون إحساناً على نفسٍ مثل هذه ثم لا يُحسن به ؟ (١)

* * *

تتجددُ الحياةُ متى وجد المرءُ حالةً نفسيةً تكون جديدةً فى سرورها . وهذه المرأةُ المسكينةُ التى لا يعنيها من الرجل مَن هو ؟ ولكن كم هو ...؟ لم ترَ فينا نحن الرَّجلَ الذى هو « كم » بل الذى هو « من » . وقد كانت من نفسها الأولى على بُعدٍ قصىٍّ كالذى عدَّ يده فى بئر عميقة ليتناولَ شيئاً قد سقط منه ؛ فلما جلست الينا اتصلت بتلك النفس من قُرب ، إذ وجدت فى زمنها الساعةَ التى تصلح جسراً على الزمن

قال الراوى : كذلك رأيتها جديدة بعد قليل ، فقلت للأستاذ (ح) : أما ترى ما أراه ؟

قال : وماذا ترى ؟ فأومأتُ إليها وقلت : هذه التى جاءت من هذه . إن قلبها ينشر الآن حولها نوراً كالمصباح إذا أُضىء ، وأراها كالزهرة التى تفتّحت ؛ هى هى التى كانت ، ولكنها بغير ما كانت

فقالت هى : إنى أحسبُك تحبنى ؛ بل أراك تحبنى ؛ بل أنت تحبنى . . . لم يخْفَ على هذا منذ رأيتك ورأيتنى

قلت : هبهِ صحيحاً فكيف عرفتِه ولم أصانعكِ ، ولم أتملّق لك ، ولم أزد على أن أجىء الى هنا لأكتب ؟

قالت : عرفته من أنك لم تصانعنى ، ولم تتملق لى ، ولم تزد على أن تجىء الى هنا لتكتب . . .

قلت : ويحكِ لو كُحِلَتْ عينُ (المكرسكوب) لكانت عينَك . وضحكنا جميعاً ؛ ثم أقبلتُ على الأستاذ (ح) فقلت له : إن القضايا إذا كثر ورودُها على القاضى جعلتْ له عيناً باحثة .

* * *

قال الراوى : وأنظرُ إليها فاذا وجهُها القمرىُّ الأزهرُ قد شَرِقَ لونه وظهر فيه من الحياء ما يظهر مثلُه على وجه العذراء المخدَّرة إذا أنت مسستَها بريبة ؛ فما شككتُ أنها الساعةَ امرأةٌ جديدة قد اصطلح وجهُها وحياؤُها ، وهما أبداً متعاديان فى كل امرأة مكشوفة العفة . . .

وذهبتُ أستدْرِك وأتأوّل ، فقلت لها : ما ذاك أردتُ ، ولا حدّثتُ على هذا الظن ، وإنما أنا مُشفِق عليك متألم بك ؛ وهل يَعْرِضُ لكِ إلا الطبقة النظيفة . . . من المجرمين والنُّجباء وأهل الشرّ ؛ أولئك الذين أعمالهم فى دُور الخلاعة

(١) فى كتابنا (السحاب الأحمر) فصل طويل عنوانه (الربيطة) كتبناه فى مثل موضوع (الجمال البائس) غير أنه يعنى آخر ومعان أخر . والربيطة هى الكلمة العربية التى تقابل كلمة Maitresse يريد بها الأوربيون المرأة التى ترتبط بأجر فى دار الرجل لتحل محل الزوجة . : .

والمسارح وأسافلهم فى دُور القضاء والسجون ؟

فقالت : اعترفْ بأنك لم تحسِنْ قلبَ الثوب لتظهر لكل عين أنه مقلوب ؛ لكنك تحبنى . . . . وهذا كافٍ أن ينهضَ منه عُذر

قال الأستاذ (ح) : إنه يحبك ، ولكن أتعرفين كيف حبُّه ؟ هذا بابٌ يضع عليه دائماً عِدّةً من الأقفال

قالت : فما أيسرَ أن تجد المرأةُ عدةً من المفاتيح . . .

قال : ولكنه عاشقٌ يُنير العشقُ بين يديه ، فكأنه هو وحبيبته تحت أعين الناس ، ما تطمعُ إلا أن تراه وما يطمعُ إلا أن يراها ، ولا شيء غير ذلك . ثم لا يزال حبُّها عليه ولا يزال هواه إليها ، وليس إلا هذا

قالت : إن هذا لعجيب

قال : والذى هو أعجب أن ليس فى حبه شيء نهائى ، فلا هجرٌ ولا وصل ؛ ينساكِ بعد ساعة ولكنك أبداً باقيةٌ بكل جمالك فى نفسه . والصغائرُ التى تُبكى الناسَ وتَتَلذّعُ فى قلوبهم كالنار ليجعلوها كبيرةً فى همّهم ويطفئوها وينتهوا منها كسائر شهوات الحب — تبكيه هو أيضاً وتعتلجُ فى قلبه ، ولكنها تظلُّ عنده صغائرَ ولا يعرفها إلا صغائر ؛ وهذا هو تجبّرُه على جبّار الحب

* * *

قال الراوى : ونظرتُ إليها ونظرتْ ، وعاتبتْ نفسٌ نفساً فى أعيُنهما ، وسألت السائلةُ وأجابت المجيبة ، ولكن ماذا قلت لها وماذا قالت ؟

(ملطيا) محمد فريد أبو حديد

ظهر حديثاً كتاب :

نقد كتاب حياة محمد

للأستاذ عبد الله القصيمى النجدى

ويباع بمكاتب القاهرة وثمنه ٢٠ مليما

لأحياء الآداب العربية والتراث القومى

وصحة دار الكتب المصرية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

يستطيع الذين درسوا الآداب التاريخية الغربية ، وقرأوا تواريخ الأمم الغربية فى تلك الموسوعات والآثار الجليلة التى تمتاز بطابعها العلمى الدقيق ، أن يقولوا بحق إن تاريخ الاسلام والأمم الاسلامية لم يكتب حتى عصرنا

إن الآداب العربية تزخر بالموسوعات والآثار التاريخية فى كل عصر ، وكل قطر ؛ ومنها بلا ريب آثار كثيرة تمتاز بدقتها ونفاستها ؛ ولكن هذه الآثار تقف أولاً منذ عصر بعيد ، فلا تكاد تجد فى العربية موسوعة أو مؤلفاً تاريخياً جليلاً منذ القرن العاشر الهجرى ، وهى من جهة أخرى لا يمكن أن تعتبر أكثر من مادة لتغذية المؤرخ الحديث بما يحتاج إليه من التفاصيل والوثائق ؛ ومن الانصاف أن نقول إن هذه المادة تمتاز بغزارتها فى عصور كثيرة ، ولكن من الأسف أن أغلبها ما زال يحتجب عن أعيننا فى أروقة المكاتب والمجموعات الخاصة ، فلا يصل إليها الباحث إلا بعد الجهد المضنى

وهذه مسألة تستحق الاهتمام من كل أولئك الذين يتصلون بالمباحث الاسلامية والتاريخية ، وأولئك الذين يشرفون على توجيه الثقافة القومية ، وفى مقدمتهم وزارة المعارف العمومية والجامعة المصرية . فالى الآن لم يكتب تاريخ مصر الاسلامية ، ولا مصر الحديثة بما يجب من دقة وإفاضة ، وإلى الآن لم تعرف معادر التاريخ المصرى معرفة حسنة حتى من كثير من أولئك الذين يعنون بكتابته أو بتدريسه ؛ وإنه لما يبعث إلى الدهشة كما يبعث إلى الأسف أن نجد الكتب الدراسية التى يعتمد عليها الشباب فى دراسة التاريخ المصرى أو الاسلامى بوجه عام ، خلاصة مشوهة اشتق معظمها من المؤلفات الأجنبية ، وهى لذلك تفيض بالأخطاء والمثالب ، وينقصها روح الانصاف

والتمحيص ؛ هذا بينما تلقى الكتب التى تعنى بتواريخ الأمم الأجنبية عناية أوفر لأنها تعتمد فى مادتها على المصادر القومية المنظمة ، ويجد فيها الشباب من التبسط والتمحيص مالا يجده فى كتب التاريخ المصرى أو الاسلامى

إن دار الكتب المصرية تزخر بمئات وألوف من مصادر التاريخ الاسلامى وتاريخ مصر الاسلامية بنوع خاص ، وبين هذه المصادر موسوعات جليلة فى مختلف العصور ، ومنها ما كتبته أقلام معاصرة قديرة ؛ وفيها من المواد والتفاصيل والوثائق ما يغتبط له الباحث ويحقق غايته . ولكن كم من هذه المصادر الجليلة أتيح له أن يرى الضياء حتى يومنا ؟ ومع ذلك فان هذه الآثار التى أخرجت حتى اليوم لم تلفت أنظار الباحثين والقراء لأنها لم تنل حقها من التعريف أولاً ، وثانياً لأن معظمها ما زال فريسة الناشرين المتجرين الجهلة ، يخرجونه فى أثواب عتيقة منفرة يقبل عليها الباحث مرغماً ويلقى فى مراجعتها من المشقة ما يلقاه فى مراجعة المخطوطات القديمة ذاتها

هذا وما زالت المراجع والموسوعات القديمة التى وضعت بين أيدى الباحثين والكتاب مستقى خصباً لنقل النصوص والروايات كما كتبت منذ مئات السنين ؛ وما زال معظم المؤلفات التاريخية المعاصرة يقوم على هذا النقل المجرد ؛ ومثل هذه المؤلفات لا قيمة له من الوجهة العلمية ، لأن عصر النقل المجرد انتهى منذ بعيد ، وأصبح التاريخ فى عصرنا علماً جليلاً يقوم على الباحث والمقارنات العلمية والنقدية والاستنباط المسند ، وأصبح وثيق الصلة بكثير من العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ؛ فمن المؤلم أن يرغم الشباب فى هذا العصر الذى يعتبر فيه التاريخ مرآة الحضارة ودعامة للعاطفة القومية ، على أن يقرأ التاريخ الاسلامى والتاريخ القومى فى هذه الكتب الممسوخة التى استخرجت دون بحث أو تمحيص من الروايات القديمة ، ولا فضل لمصنفيها — إن كان ثمة فضل — إلا فى الاختصار والتبويب والطبع الأنيق

* * *

وقد آن أن نتحرر من هذا الجمود الذى يشل ثقافتنا التاريخية ، ويحجب عنا تراث الماضى الزاخر ، وأن نستخرج من هذا التراث نفائسه ، ونقدمها لجيل العصر فى أثواب العصر وأساليبه . وأول ما يجب لتحقيق هذه الغاية فى رأينا هو أن يبذل جهد صادق للتعريف بهذا التراث وقيمته وأمكنة وجوده . وهذه مهمة تستطيع دار الكتب المصرية أن تؤدى فيها أعظم دور . ولقد عكفت منذ أعوام على دراسة هذا الجانب من تراثنا القومى ، فكتبت عدة دراسات وبحاث عن أقطاب الرواية المصرية مثل ابن عبد الحكم والكندى وابن زولاق والسبحى والقضاعى والنويرى والعمرى والقلقشندى والمقريزى وابن تغرى بردى والسخاوى وابن اياس ، استعرضت فيها تراجمهم وجهودهم وآثارهم المنشورة والمخطوطة استعراضا وافياً ، وعنيت فيها عناية خاصة بالتعريف بعشرات بل مئات من الآثار والمصادر الجليلة التى تتعلق بتاريخ مصر الاسلامية ، والتى ما زالت مخطوطة بعيدة عن التعريف والتداول تحجبها ظلمات النسيان فى أروقة دار الكتب . بيد أن مثل هذه المجهودات الفردية لا يمكن أن تحقق الغاية المنشودة . وعندنا أن دار الكتب المصرية يجب عليها أن تعنى بوضع فهرس خاص لمصادر التاريخ المصرى العربية المنشورة والمخطوطة بنوع خاص ، تتحرى فى وضعه أحدث الطرق العلمية وتصنف المصادر فيه حسب العصور ، وتوصف محتوياتها وصفاً علمياً دقيقاً ؛ ولا تقتصر فى ذلك على المصادر الموجودة ، بل تضمنه أيضاً ذكر المصادر والآثار المخطوطة المحفوظة فى مختلف المكاتب الأجنبية بالاعتماد على فهارس هذه المكاتب أو بارسال مندوب أو أكثر للخارج لدراستها وتدوين أوصافها وتصوير ما يجب تصويره منها . ثم يوضع إلى جانب هذا الفهرس العربى ، فهرس آخر يتضمن جميع المصادر والآثار الأجنبية المتعلقة بمصادر التاريخ المصرى فى جميع العصور ، وفى جميع اللغات الحية ، ويصنف تصنيفاً علمياً دقيقاً ؛ وتبذل دار الكتب جهدها لاستكمال ما ينقصها من هذه المؤلفات ، وينشر الفهرسان ، ويصبح كل منهما مرجعاً نفيساً لمصادر التاريخ المصرى ووثائقه ؛ وبذلك تحظى آثارنا المحجوبة بشىء من التعريف ، ويسهل سبيل البحث على الباحثين ، ويفتتح عهد جديد لدراسة التاريخ المصرى وكتابته

ثم يجب إلى جانب ذلك أن تدرس جميع الوثائق المتعلقة بتاريخ مصر وأنظمتها الادارية والاجتماعية والاقتصادية مما تحتفظ به دار الكتب ذاتها ، أو الدفترخانة المصرية ، أو وزارة الأوقاف أو غيرها ؛ ومن المعروف أنه توجد لدينا طائفة كبيرة من هذه الوثائق ، ولا سيما مما يتعلق بالعصر التركى ، وفيها كثير مما يلقى

الضياء على طبيعة الأنظمة الادارية والاجتماعية والثقافية فى مصر فى هذا العصر . ومعظم هـذه الوثائق التى تحتفظ الدفترخانة المصرية بكثير منها محرر باللغة التركية ، ويقتضى ترجمته أو تلخيصه . ونذكر أن الأنظار اتجهت منذ أعوام إلى هذه الوثائق ، وعرفت أهميتها وقيمتها التاريخية ، وقيل لنا إنه سيعنى بترجمتها وتنسيقها ، ولا نعلم ماذا تم بعد ذلك فى شأنها . بيد أنه لا ريب أن هـذه الوثائق المختلفة ، ومنها بوزارة الأوقاف حجج أوقاف قديمة ترجع إلى القرن التاسع الهجرى ؛ إذا نظمت ولخصت فى فهرس دقيق جامع ، تكون مرجعاً نفيساً لتاريخ مصر الادارى والاجتماعى والاقتصادى والقضائى فى هذه العصور

* * *

وتوجد ثمة فى هذا الميدان مهمة علمية أخرى تستطيع دار الكتب والجامعة المصرية والجامعة الأزهرية أن تضطلع بها ، هى نشر طائفة من الآثار والمصادر الاسلامية والمصرية الجليلة مما تغص به أروقة دار الكتب المصرية . ولقد أخرجت لنا مطبعة بولاق ثبتاً حافلاً من هذه الآثار الجامعة فى أواخر القرن التاسع عشر ، فكانت مأثرة علمية جليلة لولاها لبقيت المكتبة العربية عاطلة حتى يومنا من أمهات المصادر والمراجع الكبرى ؛ وقد أرادت دار الكتب أن تستمر فى الاضطلاع بهذه المهمة ، وما زالت تعمل لاخراج بعض الموسوعات والآثار الجليلة ؛ وقد أخرجت بعض هذه الآثار ، ولاسيما موسوعة «صبح الأعشى» للقلقشندى ، ولكن عملها فى ذلك بطىء جداً ، ينقصه الطابع العلمى قبل كل شىء ؛ ومن الواجب أن تنظم هذه المهمة تنظيماً علمياً ، وأن تشرف على أدائها هيئة فنية قديرة ، ومن الواجب أن تضاعف الجهود لاخراج هذه الآثار والموسوعات فى فترات معقولة ، إذ ما زلنا نتلقى أجزاءها فى فترات متباعدة ، وقد يستغرق اخراج الجزء الواحد عامين أو ثلاثة . ثم إن الجامعة المصرية والجامعة الأزهرية تستطيع كلتاهما أن تقوم فى هذا السبيل بمجهود قيم ؛ ولا نعلم أن إحدى الجامعتين قامت إلى اليوم باخراج شىء يذكر من الآثار الاسلامية المخطوطة ، هذا بينما نرى الجامعات والهيئات العلمية الأوربية والأمريكية تشرف باستمرار على إخراج كثير من هذه الآثار ؛ ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد أن كتاب « النجوم الزاهرة » لأبى المحاسن بن تغرى بردى الذى تقوم الآن باخراجه دار الكتب المصرية ، قد اشرفت على إخراجه منذ أكثر من عشرين عاماً جامعة كاليفورنيا الأمريكية ، وتولى نشره وتحقيقه المستشرق الأمريكى وليم بوبر ؛ وان الجزء الفائد من تاريخ مصر لابن اياس الذى أخرجته مطبعة بولاق منذ أربعين عاماً ، تولى اخراجه الأستاذ باول كاله الألمانى باشراف جمعية المستشرقين الألمانية وهكذا . ومن واجب مصر ، باعتبارها زعيمة الثقافة العربية والاسلامية أن تأخذ بنصيبها من حركة أحياء الآثار الاسلامية على يد هيئاتها العلمية الكبرى ، وفى مقدمتها الجامعتان المصرية والأزهرية . ولا ريب أن اشراف الجامعتين الكبيرتين على هذه الحركة يسبغ عليها قسطاً من الطابع العلمى الذى ننشده لآثارنا وموسوعاتنا ؛ ذلك أن ما ينشر منها اليوم على أيدى الناشرين المتجرين يخرج فى صور يرثى لها من المسخ والتحريف ؛ وليس من المبالغة أن نطلب بهذه المناسبة إلى دار الكتب المصرية أن تسن من القواعد والقيود لاستنساخ المخطوطات ثم لنشرها ما يكفل اخراجها على أيدى ناشرين من الطراز الأول ، يقدرون قيمتها العلمية ويخرجونها فى أثواب محترمة ، ويعرضونها للبيع بأثمان لا تخرج عن حد الاعتدال

* * *

هذه خواطر واقتراحات نعتقد أنها تجول فى أذهان كثير ممن يعنون بالبحث الاسلامية وحركة احياء الآداب العربية ، بل نعتقد أنها ليست بعيدة عن أذهان المشرفين على مصاير تعليمنا وثقافتنا . وإذا كنا نخص ثقافتنا التاريخية القومية واحياء تراثها ومراجعها بشىء من الاهتمام ، فذلك لأننا عكفنا على دراسة هذه الناحية من حركتنا العلمية والأدبية مدى أعوام طويلة ، ولمسنا فيها أوجه النقص والعمل بصورة واضحة ؛ وقد كنا وما زلنا نعتقد دائماً أن دار الكتب المصرية ، وهى أعظم مستودع لتراثنا المنسى ، هى أول وأولى هيئاتنا بالعمل لتحقيق هذه الغاية ، ذلك لأنها تضطلع بالفعل بناحية من هذه المهمة الجليلة ؛ وكل ما يطلب اليها هو أن تعمل لتنظيمها وتوسيع مداها على أسس علمية فنية تكفل اداءها بصورة مرضية ؛ ولو عنيت جامعتنا المصرية ، وجامعتنا الأزهرية بأن تأخذ كلتاهما بنصيبها من هذه الحركة لاكتملت لدينا أسباب النهضة ، ولاستطاعت مصر أن تضطلع برسالتها فى احياء الآداب العربية والاسلامية ، وواجبها فى احياء تراثها القومى ؟

محمد عبد الله عنان

حول ١٤ سبتمبر

للأستاذ محمد محمود جلال

أرأيت كيف غيّر (الكورنيش) من الرمل وكيف حكم فى حظوظ البقاع ؟ ! هكذا ساءلت نفسى وبدأت الحديث مع صديق رافقنى إلى سيدى بشر فى أول سبتمبر نبحث عن دار ننزلها تحت حكم ظروف طارئة — بعد أن هجرت الاسكندرية كمصيف منذ خمس سنوات

وكأن الله يريد أن يقفنا على المزيد من آياته فى تطور الكون وأنه جل شأنه قد انفرد بالدوام ، فما تحدثنا حتى دلفت بنا السيارة إلى اليمين تقطع شارعاً ضيقاً قصيراً لم أره من قبل ، قام على أحد جوانبه خلاء وعلى الآخر بناء ضخم يوشك على التمام ، وقد كدت أنكر الربوع وكأنها غير تلك التى قضيت بها الصيف أعواماً ثلاثة متواليات . وما وصلنا آخر الشارع حتى طالعنا منزل يتصل بالماضى ببنائه وموقعه اتصالَه بذكرياته ، ويجفوه بلونه الجديد ، وبهذا اللون وحده يتقرب إلى الحياة الجديدة وماطراً على (سيدى بشر)

هذا منزل (لافرلا) ثالث الأبنية بتلك المحلة نزلناه أول مرة منذ تسع سنين يوم كان (سيدى بشر) فى الصف الأخير بين المصايف لا تسمع له بينها ذكرا ، فاذا ضمك مجلس مع القبلين على التصييف شاقك ما تسمع عن (سان استفانو) وفخامة المنازل حوله ، وطيب الهواء فى (كارلتون) ، وسهولة المواصلات فى (سان جورج) ، وتحس كأن البلدية انتمرت مع الزمان القلّب فحببت الأسماء الأجنبية بخير الأمكنة ، وخصت هذه بالعناية البالغة بينما تركت الجهات الوطنية بلا ميزة ، وعطلتها من كل حلية !

غير أنى أحسست لأول سكناى ظاهرة غريبة فى (سيدى بشر) ، فالرطوبة أقل كثيراً من جميع المحطات . والرطوبة شر مايرهقنى فى الاسكندرية صيفاً ، وهذه ميزة تعدل فى نظرى جميع المزايا الأخرى . ميزة تغلب أثرها على ما كنت أرى من دهشة حين أذكر بين اخوانى أين أقضى الصيف وكأنهم لم يسمعوا بمحطة تدعى (سيدى بشر)

وما زلت أذكر من فكاهات تتصل بهذا المعنى أن المرحوم محمد نافع باشا ، وكان قطباً للحلقة الأولى بالكازينو — وكنا ندعوها المصطبة — كان يدعونى سيدى بشر إذا نادانى اشارة إلى انفرادى بينهم بهذا المصيف ، أو إلى اكتشافى له إذا شئت الحق

و (سيدى بشر) ذاته هو المحلة المزدحمة اليوم ، وهو الكعبة للطبقة التى كانت تنفر منه وتعده شيئاً غير الرمل وشيئاً غير المصيف منذ تسع سنين ، فثم منازل أنيقة على شاطئه الجميل ، وهذه أفواج تختص (البلاج) بخير ساعاتها ، وأفواج أخرى تسارع بسياراتها تتصيد القاعد الخالية فيما انتثر فيه من مقام ومجال للسرور

وإذا نظرت إلى (الربوع) وجدتها

تشق كما تشق العباد وتسعد

أما يوم نزلنا سيدى بشر فلم يكن به غير ثلاثة أبنية وبضعة حوانيت فى بناء مستقل — ولم يكن فى الجيرة ماينغص إلا تلك الأكشاك الخشبية وقد صفت على نظام فى أجمل بقعة تشرف على شاطئه ، وقد خصصت لأسر الضباط الانكليز يقوم على حراستها نفر من أولئك الذين استحلوا الكل فلم يعفوا عن الأجزاء

ولم يكن للانجليز أن يختاروا الا خير البقاع ، وأحسن المواقع ، فهذه النقطة السوداء شهادة لسيدى بشر بامتيازه

وقد استتبعت هذه الجيرة الممضة أن يأوى إلى الجوار نفر من أخلاط الدخلاء يبيعون الجنود الخمور وأخرى الحاجات ، يجلونهم ويختصونهم بخير ماحوت حوانيتهم حتى ليمنعون المصرى ما يطلب بأى ثمن

ولم تكن الحراسة بين المصريين عبثاً ولا ذات مشقة ، فهؤلاء الحراس يودعون كرم الخلق المصرى : المرض والحياة والمال . وينفقون ليلهم فى تلك الحوانيت يشربون إلى السكر ، ويسهرون إلى الصبح

* * *

بعد أسبوعين ، وفى ليلة واحدة انعكست الآية وسمعنا بمختلف الرطانات إشادة بالخلق المصرى والكرم المصرى والنبل الوطنى بين الجزع والفزع مما حدث ، فقد استطاب الجند الضيافة ، وأساغ الشرب مالا يسوغ ، وذاق المحتفون من الأخلاط بعض

آثار الاحتلال فى عتادهم وفى أنفسهم ، وشهدنا آية الصلاة فى لحظة ، وكسبنا للقضية الوطنية أنصاراً حتى بين الأقداح وفى أحقر الحوانيت

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذباً

* * *

سألنى بكر أولادى ذات صباح لمن هذه الأرض التى يقوم عليها (الكامپو) ؟ قلت للبلدية . قال وماهى البلدية ؟ أجبت تقريباً للمعنى من ذهن الطفل : هى للحكومة . قال وهل يؤدون أجرتها كما أدينا للخواجه (لافرلا) ؟

قلت يا بنى لم هذا الالحاف ؟ وفيم الاعنات ؟ وما أريد أن أبكر بالفصص إلى قلبك . إعلم أن هؤلاء الانجليز دخلوا مصر بحجة الدفاع عن عرش الخديو وحمايته ، ولم يكن ثمة تهديد لعرش ولا هدر لحياة ؛ وما زالوا يجدون فى كل يوم سبباً لأطالة الضيافة ، فهم يأخذون هذه الأرض بلا أجر كما احتلوا البلاد . قال ، لو أننا نشترى منها قطعة صغيرة ونبنى بيتاً صغيراً فلا نؤدى أجرة فى كل عام . قلت : فكرة اقتصادية وجيهة ، ولكن الانجليز ؟ قال سأخرجهم حين أصبح ضابطاً . ألم تقل بالأمس إنك ستدخلنى المدرسة الحربية ؟

قلت : صدقت ! ولقد قلت وأسأل الله إذا امتد الأجل أن توفق لخدمة البلاد ، وأدعو الله لك ولأخوانك بحياة حرة فى جو حر

وأردت أن ينقطع الحديث المشؤوم وعملت على تغيير مجراه فاستعجلته لنخرج على نية شراء بعض ما يلزمه ، ومررنا نقصد محطة الترام فوجدنا حانوتاً مغلقاً وقد تأخر عنى خطوة وانشغل به بصره ، فلما ذكرته بالسير قال : ألم تر ؟ قلت ماذا ؟ قال دكان الخواجه (خ) ، والله يا بابا لقد بكيت أمس إذ قلت لعسكرى البوليس صباح أمس حين وقف صاحب الدكان يحكى له ماجرى — خذ العساكر إلى القرقول فلم يفعل ! !

ساءنى أن يستمر الحديث على هذه الوتيرة وقلت يا بنى لقد تردد الدمع فى مآقى الوزير شريف باشا من قبل حين رأى صفوف الاحتلال فى طريق الخديو من المحطة إلى عابدين ! ولا شك أنهم سيخرجون يوماً بأذن الله ، ولن ترى من ذلك شيئاً ؛ ولقد رأى أجدادك أبشع من ذلك وأشنع ، فقد روى (هنس زيزنر) أنهم كانوا يقتلون جرحى المصريين فى التل الكبير ؛ وما زلنا نرى من أحفادهم من يحتمون بهم ومن يثقون . فيوم لا ترى واحداً من هذا الفريق لا ترى على أرض الوطن محتلاً ، ولولاء مالحق القاهرة ذلة ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

دارت الأيام ، وعدت إلى سيدى بشر وفى مكتبى الأول أكتب رسالتى وأشخص بين الفينة والفينة إلى البحر فلا أرى معسكراً يحجب ، ولا علامة تثير الغصص وتذكى الألم ، قلت مع الرسول الأمين عليه صلاة الله وسلامه : « ويعجبنى الفأل »

لعل ما ترى من استتامة للرفاهية أشبه بهذا الطلاء الزائل الذى كاد يغير من منزل (لا فرلا) — لعل الجفوة التى ترى بين رجالنا وشبابنا للمبادىء القويمة أشبه بتلك التى كنا نرى ونسمع عن سيدى بشر منذ تسع سنين ، ولعل ما يحجب عنا محاسن الخلق الوطنى أشبه بخشبات المعسكر التى تكسرت وزالت ، ولعل القوة الخارقة الطارئة التى اعتبرها علماء الاجتماع وأساطين التاريخ ميزة الخلق المصرى حين هب بعد قمبيز ، ومثلت الحكم الاسلامى بالطابع الخاص فى الدول الطولونية والأخشيدية والأيوبية ، وحكمت القومية المصرية فى عهد المماليك ومحمد على ، وحررت البلاد من الانجليز فى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٠٧ ، لعلها باذن الله قريب منا ! ولعلها على الأبواب ! ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب !

(سيدى بشر) محمد محمود جبوك

المحامى

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر

الطبعة السادسة من كتاب :

تاريخ الأدب العربى

فى جميع عصوره

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

وهذه الطبعة تقع فى زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفاً جديداً تقرأ منها نموذجاً فى هذا العدد والأعداد التالية

صور حجازية « طبع الأصل »

الاعـــدام !

للأستاذ علي الطنطاوي

سيقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : هذه وحشية ، هذه همجية ، هذا لا يكون في القرن العشرين ، قرن الحرية والنور ، هذا يأباه فلاسفة العالم المتمدن ؛ السيو فلان ، والمستر هلان ، والهر جرمان ، والسنيور ايطاليان

ويقول الحق : هـذا واجب ، هذا حسن ، هذا دواء القرن العشرين ، قرن الاستعمار والاستعباد ، وإبادة الضعفاء ، واغتصاب الحريات ، هذا ما أمر به الله ، وجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر امرؤ مسلم : أيتبع أمر الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم يتبع رأي السيووات والساتير ، والهررة والسناتير؟!...

سمعت — وأنا في مكة — أنّ أمراً سيقع بعد صلاة الجمعة (آخر المحرّم سنة ١٣٥٤) فجعلت أرقب وأنتظر ، لا أحب أن أسأل أحداً ، كيلا تفوتني لذة المفاجأة وروعة الحادث . ثم إن الرجل في الحرم كالسائح في أرض الله ، لا يدري من يسأل ؛ ولا يعرف من يخاطب ، وبينا هو في « الهند » يسمع لغة الهنود ويرى أزياء الهنود ، ويبصر عادات الهنود ، إذا به ينتقل بعد خطوات الى « نجد » فاذا هو بين النجديين ، وإذا كل شيء من حوله عربي نجدي ، ثم يخطو فاذا هو في مصر ، بين المصريين ، يسمع حديث مصر . في لهجة مصر . . . فكأن الدنيا كلها قد استقرت في الحرم ، تستظل بالبيت العتيق ، وتطوف به ، وتحثو خاشعة من حوله ، فلا يحس الرجل وهو فيه بأن وراءه دنيا ، أو ظاهر جدرانه حبًّا من الناس ، أو عامراً من الأرض

حتى إذا قضيت الصلاة ، وانفتل الامام ، ابتدر الناس أبواب الحرم يستبقون الى شارع الحكومة — وهو في أسفل أجياد ، يمتد من شمال الصفا حتى يجاوز باب ابراهيم — فلم تكن إلا هُنَيّات حتى امتلأ الشارع على سعته بالناس ، ولم يبق فيه موطئ قدم ، فجعلت أزاحم الناس لأخلص الى الساحة ، فلا أتقدم بخطوة ؛ ومن لي باختراق هذا السد الهائل من الأجساد ، واجتياز هذا الخضم من الناس ؟ فأيست واحتسبت مصيبتي في فوت المشهد عند الله ، وهممت بالعودة الى الحرم ، وإذا أنا بالشيخ يوسف ياسين (سعادة سكرتير جلالة الملك) فتعلّقت به وقلت :

— والله لا أدعك حتى تبلغ بي الساحة

فاعتذر وتملّص ، فما نجا ولا تخلص ، وكيف يتملص مني وقد كنت كالغريق وجد سفينة النجاة ، أفيدعها بعدما وجدها ؟ فأجاب على كره وسار وأنا أتبعه ، والبحر ينشق له كأن بيده عصا موسى . . . وما الناس لا يتفرقون من بين يديه حذرين خائفين ، وهو سكرتير الملك ؟ حتى إذا بلغ بي درج القصر عاد لشأنه وتركني ، فصعدت فلم أجد مكاناً أقف فيه ، ووجدت الغرف كلها ملأى بالموظفين والمقربين والحاشية ، فقادوني الى غرفة فخمة أعدت للأمير فيصل (ابن الملك ونائبه على الحجاز) ولأهل البيت : بيت الملك

ولم لا يفعلون وأنا ممن يكتب في الصحف ، والاكرام إنما يكون لمن يكتب في الصحف ، أو يملك سبيلاً من سبل الدعاية ، والحذر إنما يكون من هؤلاء . فذكرت قالون وزير لويس السادس عشر ، حين رأى أن خير طريقة لتقوية الحكومة الضعيفة ، وإغناء الخزانة الفقيرة ، أن تقيم الحكومة الولائم الفخمة وتنفق الأموال الطائلة ، تشترى ألسنة المادحين ، وأقلام الكاتبين حتى يقال : إنها غنية . . فقالوا : إنها غنية ، لأنهم أكلوا خبزها ولكن الخزانة قالت : إني فقيرة ! وقال التاريخ : إن قالون وقيع ...

* * *

ووقفت في النافذة بين فتية من آل البيت ؛ فيهم ابن للأمير فيصل في نحو الثانية عشرة من عمره ، ما رأيت في لداته أنقب منه ذهناً ، ولا أصحّ جواباً ، ولا أحدّ ذكاء ؛ وأطللت على الناس ، وإذا هم أخلاط من كل جنس ولغة وزيّ ، فمن رجل عباية[1] على رأسه عقال أسود على صِماد أحمر[2] قد التحف بعباية رقيقة على ثوب أبيض ، وقد حلق لحيته كلها إلا نقطة واحدة من الشنون ، وهلالاً دقيقاً من تحتها ، كما فيه سف واحد من الشعر كأنما هو مروحة تدلت على صدره : سنة يتبعونها ما أنزل

(١) العباية : العباءة والرجل الجافي

(٢) الصماد : ما يوضع على الرأس دون العمامة أو العقال ، ويسميه الشاميون كوفية ويدعوه النجديون الغماج

الله بها من سلطان ... وهذا هو النجدى

ومن رجل يلبس ثوباً رقيقاً فوقه رداء قصير (چاكيتة) من قماش هفهاف ، وعلى رأسه "قلنسية" (طاقية) بيضاء ، إذا مشى في الشمس تعمم عليها بلحفة بثقل الفراش ، يتقى بها شمس مكة الحادة المخيفة[1] وهو حليق اللحية صغير الشاربين ... وهذا هو الحجازى

ومن رجل وسخ الثياب ، ممزقها ، لا تدرى عن ثيابه ما لونهما وما هى ، وعلى رأسه حبل قد وضعه مكان العقال . . . وهذا هو الأعرابى

ومن رجل يلبس ثوباً متقن الصنع ، عليه عباءة جميلة شفافة وعلى رأسه عقال مذهب ، أو يلبس بدل الثوب حلة (بدلة) بيضاء وهو حليق اللحية ، إلا قليلاً منها يبقيه بمثابة الدلالة على أنه ملتح ... وهذا هو السورى . وأكثر السوريين فى الحجاز موظفون فى الوظائف الفنية ، وأقلهم تجار

ومن رجل على رأسه عمة ضخمة تخمة كعمائم السلاطين من آل عثمان — يوم كان لآل عثمان سلاطين ، وكان لسلاطينهم عمائم — وقد أرخى بين كتفيه عذبة طويلة ، وله لحية كثة مستديرة ، وشاربان طويلان ، أما ثيابه فقميص تحته سراويل بيض ، تبلغ الكعبين ... وهذا هو الهندى

ومن شاب حليق الوجه كله (على الأسلوب الأمريكانى) نظيف الثياب مهفهف قد ائتزر بمئزر (فوطة) لفها على خصره النحيل لفاً محكماً ، واجتزأ بها عن السراويلات ، وارتدى عليها رداء قصيراً رقيقاً ، وربما بلغ ثمن المئزر من هذه المآزر خمسة الجنيهات أو أكثر ... وهذا هو الطالب الجاوى ، وما أكثر هؤلاء الطلاب فى مكة

ومن عبد أسود ، جعد الشعر ، أفطس الأنف ، ضخم الشفة ، عار إلا من خرقة تستر عورته أو بعض عورته ... وهذا هو الأفريق الأسود

ومن ... ومن أمم ربنا التى لا تعد ولا تحصى

وكان القوم مختلفين فى أزيائهم ولغاتهم وأجناسهم ، ولكنهم تجمع بينهم هذه القبلة التى قطعوا السباسب ، وخاضوا البحار ، ليواجهوها ، ويقفوا أمامها ، ويتعلقوا بأستارها

* * *

ثم أقبل الجند ، وهم بثياب عربية . قد تمنطقوا عليها بمناطق الرصاص ، فاصطفوا من حول الساحة ، ثم أقبل الأمير فيصل فى موكبه ، يحف به طائفة من عبيده الأمناء الأشداء الأوفياء ، فصعد إلى الغرفة التى نحن فيها فجلس فى شرفتها الكبرى

ثم جىء بالرجل ؛ وهو قصير كز ساعد ، ما عليه إلا قميص واحد مشقوق الجيب ، وكان أصفر قد دمع وامتقع لونه ، وغاض من وجهه الدم ، بمجوعة يداه إلى قفاه ، قد مات من قبل الممات . يقوده جندى آخذاً بتلابيبه ، حتى إذا بلغ به الساحة خلاه فهوى جاثياً على ركبتيه ، فلبث لحظة ما يفتح عينيه من الجزع ، ثم ارتدت إليه نفسه بعد حين ، فجعل يقلب عينيه فى الناس فيرى كل شىء من حوله ميتاً لا حياة فيه ، فكأن الدنيا قد أظلمت فى ناظريه حين يئس من الحياة ، كبيت أطفئ فيه المصباح فى ليل داج

وجعل يرى الشمس مشرقة ، ويرى الجند جائين ذاهبين ، يدلون بشاراتهم وسلاحهم ، ويرى القصر قائماً يحمل سطوة الحكومة وهيبة السلطان . . . ولكنه لا يرى من ذلك كله إلا صوراً مطموسة ، تطلع عليه من خلال حلم عميق ... ثم تضاءلت هذه الصور واختلطت ، ولم يبق قيد ناظريه إلا الكعبة ، يبصرها من باب الحرم ، فجعل يحرك شفتيه بالتوبة والاستغفار ويشير بسبابته إشارة التوحيد ، ثم أغمض عينيه وجرفه سيل من العواطف المتباينة فغاب فى ذهول عميق ، ولم يعد يفكر فى شىء

وجىء بالمجرم الآخر ، وهو عبد أسود ، ضخم الجثة ، غليظ الشفتين ، كثير الشعر ، كأنه غول هائل ، أو وحش مروع ،

(١) من أصيب بضربة الشمس فى مكة فانما أصيب بالموت المحقق ، ومع ذلك فقد كان معنا فى رحلتنا الكشفية الى الحجاز ، شاب نجدى اسمه حبيب ، ما رأيته ستر رأسه ، فى بادية ولا فى حضر ، فقلت له : ويحك ألا تخشى ضربة الشمس ؟ فقال لى ما نصه : والله لو وقفت الشمس هنا أربعين صباحاً (ونقر على صدغيه) ما خلصت الى داخل . . . فعلمت حينئذ كيف مضى أجدادنا لفتح العالم . .

وقد قيده الجند ، وجمعوا يديه إلى عنقه وأقبلوا يمسك به ستة منهم وهو يصاولهم ويقاومهم ، ويزمجر ويصرخ صراخا شديداً ، وهم يزبرُونه ويقرّعونه حتى انتهوا به إلى الساحة ، فاجتمعوا عليه فأضجعوه على سرير من الخشب وشدوه اليه شداً وثيقاً ، وأقاموه بحيث يرى رفيقه ويبصر مقتله

* * *

وكأن العبد قد اهتمجت نفسه ، وأدركه الخور ، فسكت وسكت الناس وعلقوا أنفاسهم وشخصوا بأبصارهم

وجعلت أطل من الشباك أبحث عن الجلاد فلا أرى أحدا ، وأفتش عمن يتلو حكم الاعدام فلا أجده . وأرى سمو الأمير يشير بيده ، فاذا عبد ضخم يبرز من بين الصفوف ، وبيده سيف صقيل مسلول ، فيأتى الأعرابى من ورائه وينخسه بالسيف ، فينتبه ويمد عنقه مستطلعاً ، فيهوى العبد بالسيف على قذاله ، ثم يحزّ به الرأس حزّا ، فلا تمضى ثوان إلا والرأس قد بُتر عن الجسد ، من القذال إلى أعلى الصدر ، وطاح ثلاثة أمتار قبل أن تند من المقتول صرخة ، ونفر الدم من عنقه كأنه نافورة ، ومال الجسد قليلاً قليلاً حتى هوى ، وهويت أنا قبل هويه وكفاى على عينى ، ولم أعد أشعر بشىء

ولما صحوت قيل قد فاتك المشهد الهائل : قطعت يد العبد ورجله من خلاف

قلت : ويحكم ، ماذا تقولون ؟

قالوا : قطعت يده ورجله ، ألم تتل قول الله عز وجل : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » . أما إنه لولا هذا ما بلغنم أرض الحجاز سالمين . وما العهد السابق ببعيد ، أفلا نستحيي بقتل واحد أوائنين الناس جميعاً ؟ قلت : بلى والله ! صدق الله العظيم : « ولكم فى القصاص حياة »

رمشوه — على الطنطاوى

٥٠٣٢

قلم حضير

برليشة ذهب عيار ١٤
مضمون ٣ سنوات
تستعملها الحكومات الشرقية
مكتبة ومطبعة حضير بشارع عبد العزيز بمصر

٢ ـ الشـــعر *

في صدر الاسلام وعهد بني أمية

بقلم احمد حسن الزيات

خصائص الشعر في العراق

لعل الشعر العراقي الإسلامي أصدق ما يصور حياة البادية ، وأصح ما يعبر عن نفسية العرب ؛ فانه — وإن كان كما قلنا استمراراً للشعر الجاهلي يصدر عن دوافعه ، وينبع من منابعه — أنقى جملة وأبين علة وأصح نسبة ، لقربه من عصر التدوين واتصاله بأسباب السياسة وأحداث التاريخ . وهو مظهر لتلك الحياة الدنية الأولية التي هيأها الاسلام للعرب لأول مرة ، فجعل من الأشتات وحدة ظاهرها الجماعة والالفة ، وباطنها العداوة والفرقة ؛ فهو مهاجاة بين الأفراد ، ومساجلة بين الأحزاب ، ومفاخرة بين القبائل ، ومدح للزعماء والخلفاء ؛ وهذه الموضوعات بطبيعتها تقتضي اللفظ الجزل والأسلوب الرصين والعروض الطويل والصور البدوية ، وتعتمد في الهجاء على مثالب الآباء من جبن وبخل وقلة وذلة ، وفي المدح والفخر على ذكر أيامهم الدامية الماضية وما ظفر فيها أسلافهم من الغلب والسلب . فالهجاء في هذا العهد بأنواعه الخاصة والعامة يكاد أن يكون مظهر العراق ، لتكالب القبائل المتعادية عليه ، وظهور المذاهب المتباينة فيه ، وغلبة البداوة والانفة والبطر على أهله . فشعراؤه يبتدئون به ويفتنون فيه ويعيشون عليه ، وهو ينتحل الأسباب المختلفة ، ويرتدي الأثواب المتعددة ، فيكون فردياً وقبلياً ووطنياً ودينياً وسياسياً ؛ ولكنه في الواقع إنما يصدر عن باعث واحد هو العصبية الموروثة والأحقاد القديمة

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فقائل هذا البيت غياث بن غوث الأخطل صوت الجزيرة ولسان التغلبية وأديب النصرانية وشاعر الأموية . كان أول ما عرزم به من الشعر الهجاء ، هجا امرأة أبيه وهو صغير ، وهجا كعب بن جعيل شاعر تغلب ، فأهله وهو يافع ، وعلق به لقب الأخطل منذ شب لسفاهته . ثم مضى يقرض الشعر فيما يشجر من الخصومة بينه وبين الناس ، أو بين قبيلته وبين القبائل ، حتى كان بين يزيد بن معاوية وهو ولي العهد وبين عبد الرحمن بن حسان الانصاري تقاول وجدل ، فطلب من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار ، فتحرج أن يذم قوماً آووا رسول الله ونصروه ، وقال له : أدلك على الشاعر الفاجر الماهر (يريد الأخطل) : فهجا الأخطل الأنصار بالفلاحة واللؤم والخمر ، وفضل عليهم قريشاً في قصيدته الرائية ، وكاد يشفي من ذلك على الخطر لولا عون يزيد ؛ وبالغ الأمويون في إيثاره وإكرامه ، وأمعن هو في النفح عنهم ، فناضل الزبيريين بعد الأنصار ، وصمد إلى القبائل القيسية فهتك عنها حجاب الشرف قبيلة قبيلة بقصيدته التي مطلعها :

ألا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بكر وإن كان حيّانا عدىً آخر الدهر

لمناصبتها الأمويين العداء من جهة ، ولاقتحامها الجزيرة على قومه من جهة أخرى ، ثم ختم حياته بمأساة الفرزدق ومهاجاة جرير . والأخطل وإن كان شديد التمسك بنصرانيته ، على وثيق صلاته بالخلفاء ، لم يشذ عن طبيعة العرب في التدين ، فقد قال الأب لامنس في فصل كتبه عنه : « إن أثر النصرانية في دين الأخطل ضئيل ، ونصرانيته سطحية ككل العقائد الدينية عند البدو » ، فهو يدمن الخمر في حمى الدين ، ويكثر الهجاء في حمى الخليفة ، ويهاجم القبائل في حمى تغلب ؛ ولكن هجاءه كان عفيف اللفظ لا يركب فيه متن الشطط ولا يتجاوز به حدود الخلق

وأبو فراس همام بن غالب الفرزدق الدارمي ثم التميمي نشأ كذلك بالبصرة على قول الهجاء مع شرف أسرته وغنى قبيلته وعزة نفسه ؛ فكان يهجو بني قومه لحدة طبعه وشراسة خلقه ، فيشكونه إلى أبيه فيضربه ؛ ثم لج في هجاء الناس حتى استعدوا عليه زياداً والي العراق لمعاوية ، فطلبه ففر منه في مدن العراق وقبائله ، ثم لجأ إلى المدينة واستجار بواليها سعيد بن العاص من زياد فأجاره ؛ فلما مات زياد عاد الشاعر الى وطنه فساهم فيما وقع

* من الطبعة الجديدة لكتاب تاريخ الأدب العربي الذي صدر حديثا

فيه من حروب وفتن بعد موت معاوية ويزيد ، حتى بني بهاجاة جرير فشغلت فكره وملأت عمره وصقلت شعره ، وظلت هذه الهاجاة أربعين سنة ونيفاً كان منها للناس مشغلة ، وللسواس مهزلة ، وللأدب العربي ثروة ضخمة من الشعر لا تخلو على سفاهتها وبذاءتها من حكمة . وكان جرير بن عطية الخطفى التميمي قد قال الشعر كصاحبيه في الحداثة الباكرة ، وقاله مثلهما في الهجاء ، ولكنه بدأ بالرجز على نحو ما يكون من الرعاة وهو منهم . وكان خمول عشيرته وضعة أسرته وفقر أبيه وحدّة خلقه من العوامل التي ساعدت الطبع على نبوغه في الشعر وتفوقه في الهجاء ؛ وكان أول من نازله وألجمه غسان السليطي حين هجا قومه ، فاستغاث السليطي بالبعيث فأغاثه وهجا جريراً ، فنقض جرير قوله بالهجاء اللاذع ، فناضل عنه الفرزدق لموجدة في نفسه على جرير ، وتهاجى الشاعران التميميان من أجل ذلك . وفضّل الأخطلُ الفرزدقَ على جرير إما لدفاعه عن قيس ، وإما لرشوة محمد بن عمير إياه ، فهجاه جرير ، ثم نبحه الهجاء من كل مكان حتى نصب له من الأقران ثمانون شاعراً ظاهر عليهم جميعاً إلا الفرزدق والأخطل فانهما ثبتا له ونازعاه الغلبة . وانشعب الناس في أمر جرير والفرزدق شعبتين تناصر كل منهما أحد الشاعرين ؛ وكان بين الفرزدقيين والجريريين ما بين العلويين والأمويين ، يطلب كل منهم الغلبة لصاحبه بالدعاية والنكاية والرغبة والرهبة والحلف ، يقوم الأولون بالمربد والآخرون بمقبرة بني حصين ، وقد وقف الشاعران كلٌّ بين أتباعه وأشياعه ينشدهم شعره وهم يكتبونه ، والرواة ينشرونه ، والأدباء والأمراء يتناولون ما يروى بالموازنة والنقد والحكم ، والأنصارُ يحاولون رشوة الشعراء واستمالة العلماء ليحكموا لصاحبهم على خصمه ؛ فقد روى الأغاني أن أحدهم تبرع بأربعة آلاف درهم وبفرس لمن يفضل الفرزدق على جرير . وليس أدل على اهتمام الناس بأمرهما واختلافهم في الحكم على شعرهما من أن يتهادن الجيشان المتقاتلان ساعة ليحكم أحد الخوارج الأدباء بين رجلين من رجال المهلب تنازعا في أمر جرير والفرزدق ، فقد ذكر ابن سلام أن رجلين تنازعا في عسكر المهلب في جرير والفرزدق وهو بازاء الخوارج ، فصارا إليه فقال لا أقول فيهما شيئاً ، وكره أن يعرض نفسه لشرهما ، ولكن أدلكما على من يهون عليه سخطهما : عبيد بن هلال ، وهو يومئذ في عسكر قطري بن الفجاءة ، فأتيا فوقفا حيال المعسكر فدعواه فخرج يجر رمحه ، وظن أنه دعي إلى المبارزة ، فقالا له : آلفرزدق أشعر أم جرير ؟ فقال : عليكما وعليهما لعنة الله ! فقالا : نحب أن تخبرنا ثم نصير إلى ما تريد ، فقال من يقول

وطوى القيادُ مع الطراد بطونها ... طي التّجار بحضرموت بُرُودا

قالا : جرير . قال : هو أشعرهما

وهناك طائفة أخرى من شعراء العراق كعبيد الراعي وأبي النجم العجلي والراجز اتخذوا من الشعر ظُفُراً ونابا مزقوا بهما الأعراض وأشاعوا هُجُر القول في الناس ، ولكن أحدهم لم يبلغ من سطوة الشعر ونباهة الذكر ما بلغ جرير والفرزدق والأخطل ، لأنهم كما قال أبو عبيدة : « أعطوا حظاً من الشعر لم يعطَه أحد في الاسلام : مدحوا قوماً فرفعوهم ، وذموا قوماً فوضعوهم ، وهجاهم قوم فردوا عليهم فأنهضوهم ، وهجاهم آخرون فرغبوا بأنفسهم عن جوابهم فأسقطوهم »

مذهبهم في الهجاء

مذهبهم في الهجاء هو المذهب المتبع والطراز الغالب ؛ على أنهم يتفاوتون فيه تفاوتهم في الطبقة والبيئة والطبع

فالأخطل سيد في قومه ، كريم في نسبه ، نبيل في نفسه ، يعاقر الخمر ويجالس الملوك ويحترم الدين ويحتمل في سبيله ضرب الأسقف وأذى السجن وإن كان لا يتعبد ولا يتزهد . ومن أجل ذلك كانت لغته في الهجاء كما ذكرنا من قبل لغة الخاصة ، لا يسف الى القبيح ولا يستعين بالمخازي ، وإنما يهاجم القرن في صفات الرجولة فينفي عنه الكرم واليأس والمجد والصدق كقوله في تيم :

وكنت إذا لقيت عبيد تيم ... وتيما قلت أيهما العبيد !

لئيم العالمين يسود تيماً ... وسيدهم وإن كرهوا مسود

وكقوله في كليب بن يربوع :

بئس الصحاب وبئس الشرب شربهم ... إذا جرى فيهم المزّاء والسكر

قوم تناهت إليهم كل مخزية ... وكل فاحشة سُبّت بها مضر

الآكلون خبيث الزاد وحدهمُ ... والسائلون بظهر الغيب ما الخبر

وأقسم المجد حقاً لا يحالفهم ... حتى يحالف بطن الراحة الشعر

ولعل أفحش هجائه قوله فى قوم جرير :

قوم إذا استنبح الضيفان كلبهم ... قالوا لأمهم بولى على النار

فتمنع البول شحاً أن تجود به ... ولا تجود به إلا بمقـــدار

والخبز كالعنبر الهندى عندهمُ ... والقمح خمسون أردباً بدينار

فترى أنه حتى فى إقذاعه وإبجاعه لا يتدلى الى ذكر المثالب الخاسة والمعايب القردية ، وإنما يهاجم قبيلة الخصم كلها فيقايس بينها وبين قبيلته فى السمو الى المعالى والسبق الى الغايات ، وفى ذلك يجد بلاغه ومدده ، فلا يضطر اضطرار جرير الى ذكر الصغائر التماساً للغلبة الدنيئة من أقرب طريق . انظر الى قوله لجرير :

يا ابن المراغة إن عمّى اللذا ... قتلا الملوك وفككا الأغلالا

وأخوهم السفاح ظمّأ خيله ... حتى وردن جبى الكلاب نهالا

فانعق بضأنك يا جرير فانما ... منتك نفسك فى الخلاء ضلالا

منتك نفسك أن تكون كدارم ... أو أن توازى حاجباً وعقالا

وإلى قوله له :

ولقد شددت على المراغة مرجها ... حتى نزعت وأنت غير مجيد

وعصرت نطفتها لتدرك دارماً ... هيهات من أمل عليك بعيد

وإذا تعاظمت الأمور لدارم ... طأطأت رأسك عن قبائل سيد

وإذا عددت بيوت قومك لم تجد ... بيتاً كبيت عطارد ولبيد

تجد أن هجاءه أقرب ما يكون إلى المناقرة والفخر . ومن الواضح أن هذا الهجاء العفيف المترفع وإن أمضّ لا يجرى مع هجاء جرير فى ميدان ، ولا يستوى وإياه عند العامة فى ميزان ، فكيف إذا اجتمع إلى ذلك خمود الشيخوخة فى الأخطل وحِدّة الشبيبة فى جرير ؟ إن جريراً نفسه قد عال وناء خصمه عنه فى آخر الشوط بكبر سنه ، فقد قال : « أدركته وله ناب واحد ، ولو أدركته وله نابان لأكلنى » . وقال فى قصيدته النونية التى هجا بها الأخطل على أثر تفضيله الفرزدق عليه :

جاريت مُطّلع الرهان بنابهِ ... رَوْقٌ شبيبته وعمرك فان

وإذا استثنينا هجاء الأخطل لجرير وجدنا أشهر أهاجيه إنما قالها فى أغراض قومية أو سياسية . ومن تلك الأهاجى المأثورة قصيدتان تلخصان مذهبه وتصوران فنه : الأولى فى هجاء القبائل القيسية ومطلعها :

ألا يا اسلمى يا هند هند بنى بكر ... وإن كان حيّانا عِدىّ آخر الدهر

والأخرى فى مدح عبد الملك بن مروان وذم خصومه ومطلعها :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا ... وأزعجتهم نوى فى صرفها غِيَرُ

ومنها :

بنى أمية إنى ناصح لكم ... فلا يبيتن منكم آمنا زُفَر

قال مشهده كفر وغائلة ... وما يُغيَّب من أخلاقه وعَر

إن العداوة تلقاها وإن كمنت ... كالسُّر يكمن حينا ثم ينتشر

بنى أمية قد فاضلت دونكم ... أبناء قوم هم آووا وهم نصروا

وقيس عيلان حتى أقبلوا رُقُصاً ... فبايعوك جهاراً بعد ما كفروا

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم ... وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

والأخطل لنصرانيته لم يستطع أن يتخذ من الاسلام سببا للفخر ولا مادة للهجاء ، فاكتفى بذكر مناقب آبائه ومثالب أعدائه ، على أنه يستغل أحيانا بعض ما أنكر الاسلام فيهجو به وإن كان هو يستبيحه ، كقوله فى الأنصار يرميهم بشرب الخمر :

قوم إذا هدر العصير رأيتهم ... حمراً عيونهمُ من السكار

وكقوله فى كليب بن يربوع :

بئس الصحاب وبئس الشرب شربهم ... إذا جرت فيهمُ المزّاء والسكر

يتبع

النبات

الدليل العراقى

موسوعة سنوية عن المملكة العراقية والبلاد العربية المجاورة

تصدره باللغتين العربية والانجليزية

محل ذكور للطبع والنشر

تحت إشراف

وزارة الداخلية العراقية

الإدارة : شارع المأمون ٣٢/١١

بغداد - العراق

في مؤتمر الكتاب الأوربيين لحفظ الثقافة

خطاب أندريه جيد

نحن قليل في هذا المكان بعددنا ، كثير إذا اقتصر الأفراد منا على حب بلادهم ، وكثير كثير إذا أضمر هؤلاء الأفراد للبلاد الأخرى ضغينة وحقداً : إذا ما حدثتكم عن شعوري أيها السادة أقول بأني إنساني النزعة في الوقت الذي ما أزال فيه فرنسياً صميماً ، وأقول بأني فردي من أنصار الفردية مع الاعتقاد الراسخ بأني شيوعي صميم ، لا أجد في الشيوعية غير نصرة لفرديتي وكل تأييد ، لقد كانت رسالتي التي حملتها طوال خمسة وستين عاماً : أنه بمقدار ما تكون شخصية الانسان قوية وأصيلة فيه ، تكون خدماته للمجتمع أجل وأحسن ، وقد أضفت في السنوات الأخيرة إلى هذه الرسالة رسالة جديدة هي من الأولى بمثابة البنت للأم ، هي أن الجمعية الشيوعية تترك المجال الوسيع لكل شخصية وللخصائص التي تتميز بها كل شخصية تنمو وتزدهر على وجهها الأكمل ؛ وحسبي أن أتمثل بعبارة لأندره مالرو ساقها في مقدمة أحد الكتب وقد أصبحت مثلا يجري على كل لسان « إن الجمعية الشيوعية ترد إلى كل شخصية نتاجها الخصيب »

وأذكر اسم رابليه في هذا الكلام لأن النشاط الذي تركه في آدابنا الفرنسية الجميلة لم يتركه أديب من بعده ، ولأني أعتبره خير ممثل للأديب الفرنسي العريق ، ولربما كان فيما كتب بين معاصريه خير ممثل للعصر الذي عاش فيه ، لقد أخذت الآداب الفرنسية بعد رابليه تهمل ثورتها ، تتوخى الطريق المطمئنة المسالمة التي لا صعاب فيها ولا عراقيل ، تجنح إلى الغموض والابهام غير مكترثة بالمادة مشيحة بوجهها عنها

أعني بالآداب الفرنسية التي سميت « كلاسيكية » كل ما يدخل تحتها من كتاب وقراء ونظارة وأبطال للرواية والقصة ، أعني بأن كل هؤلاء قد كُفُوا مؤونة السعي والجد طلباً للعيش ؛ وعلى هذا الأساس كانت وظيفة الأديب أن يحدث أناساً موفورين عن أناس موفورين ، وإذا لم يكن منعماً هذا الذي يحدث عنه الأدب ، فليس من شأننا أن نعرف ذلك وليس من شأننا أن نعرف لماذا كان أكثر هؤلاء الذين يحدث عنهم أغنياء مغتبطين ؟ وعلام يستندون في جمع ثرواتهم ؟ إن الأدب لا تعنيه كل هذه الأسئلة المضنية ! فهؤلاء الأبطال يصورهم لنا راسين في مآسيه الرائعة وقد خلوا من تكاليف الحياة ليس لهم إلا أن يندفعوا مع أهوائهم مرخين العنان لقلوبهم تعشق وتحب ، ولرؤوسهم تحلم وتفكر . إن هؤلاء الأبطال لا يعيشون في غير أسطر ضمت في كتاب أو على خشبة مسرح يتقمص أفعالهم الممثلون

لست هنا في معرض دعوى أدافع بها مطالباً بحكم على هذه الآداب الكلاسيكية ، فاني من أكثر الناس حباً لها وإعجاباً بها وبكل ما هو رائع وجميل ، بل أقول إن الأدب لم يشهد منذ الأغريق الأقدمين عهداً رائعاً مثل عهد هذه الآداب . ولرب قائل يقول : إن هؤلاء الملوك والملكات وهؤلاء الأمراء والكبراء الذين لا تخلو منهم رواية مسرحية ألفت في القرن السابع عشر هم الذين ينبو عنهم ذوقنا ؛ وأكبر ظني أن ليس هناك أحد يستسيغ الحديث عن أناس نسبت اليهم أفعال حميدة وكلام مزوق معسول ، وقد جعلوا في جو من الأبهة والملك يشفعان لهم إذا لم يأت كل ما نسب إليهم مطابقاً للواقع صادراً عن ميولهم ومجرد إحساساتهم ؛ وإذا استساغ البعض حديثاً من هذا النوع فانهم لا يجدون فيه صورة منقولة عن عالم الأحياء الذي يعيشون فيه . فليس كل من يدبون على الأرض مترفين ولا أصحاب امتيازات

لعمري إن آداباً تلك سمتها لا تعبأ بغير هذا النمط من الناس ولا تهتم بغير الرؤوس والقلوب منهم ، لا يرجى لها مستقبل تأمن فيه من أن تزل قدمها فتهوي إلى أعماق البحر الذي تمشي على شطآنه

إن الآداب والفنون إذا لم تكن مرآة للحياة وصدى للحقيقة فانها أشياء مصطنعة لا تلبث أن تفقد قيمتها ، وإننا إذا استثنينا الآداب اللاتينية لا نجد آداباً أوروبية أخرى أكثر من الفرنسية إيغالاً في الخيال وتعلقاً به ، ما تزال إلى الآن تعتمد عليه اعتماداً كبيراً . إن الآداب لا تسمو ولا تقوى ولا تتجدد إلا بالمقدار الذي تستمده من الشعب الذي يعتبر بحق دعامة المجتمع وأساس بنيانه ، وما أشبه حال الأدب ببطل الأسطورة الأغريقية ذات المغزى البليغ

التي تحكي أن أنتيوس يفقد قواه وتفل عزيمته كلما ارتفعت رجلاه عن أن تمس الأرض (١)

يتساءلون عن الكاتب الذي غذى الآداب الفرنسية في غضون القرن الثامن عشر وجدد في حيويتها ! ليس هو فولتير ولا هو مونتسكيو على عبقريتهما وما قدماه لهذه الآداب من البدائع . إن هذا الكاتب رجل خرج من بين الرعاع لا حسب له ولا نسب : هو ديدرو وهو روسو

. . . يقول كاتب في جريدة (الاكسيون فرانسيز) منذ عهد قريب : « إن المدنية هي الكذب ومحض الاختلاق ، وظيفتها إقامة رجل متصنع في شؤونه متكلف في أحواله مكان الرجل الطبيعي العادي ، شبهها شبه الرجل الذي يبرز مرتدياً ثيابه مصففاً شعره بعد أن يكون عارياً في حجرته الخاصة » ثم يختم المقال بقوله « على المرء أن يختار بين أن يكون متمدناً لا يعرف للأخلاص معنى وبين أن يكون غير متمدن مخلص لذاته »

كلا ليس من المحتم على المدنية أن تتجرد من صفة الاخلاص ، وليس من اللازم على الانسان إذا أراد التمدن أن يكون كاذباً أفاكا ، بل إذا لم يكن للمدنية بد من شيء تتصف به وتحمل طابعه فانه الصدق . انى لست من الذين يلقون تبعة الكذب والتزييف البادين على كل مظهر من مظاهر حياتنا على عاتق الفرد ، فان الجاني هو المجتمع كلما أراد أن يخنق صوت الشعب ، وكلما حاول أن يتركه على حاله من الغباوة والجهل والاستعباد ، لا يعرف ما يجيش في فؤاده فيعبر لنا عنه ولا يدرك ما تستفيده الثقافة منه إذا جهر بما هو دائر في خلده حائم بمخيلته

وقفت نفسي مذ كنت شاباً احترفت حرفة الكتابة على دحض الزعم القائل « قال الانسان كل ما يمكن أن يقوله وليس في استطاعة أحد أن يقول غير ما قد قيل » وقد اتخذ هذا الزعم وطنيو ذاك العهد شعاراً لهم يتمثلون به

أليس من دواعي العجب والغبطة وقد مضى عصران كاملان على الكلمة التي كان يعتز بها لابرويير : « جئت في الزمن الأخير » أن نرى أنفسنا أمام عالم حافل بالعجائب والغرائب لم نصل بعد إلى كثير أو قليل من أسراره ، أمام عالم يقظ في إبان فتوته يطلع علينا كل يوم بجديد

من يقل أدب قوم فكأنه عنى بذلك خصائصهم وأحوال مجتمعهم ، لكن هذه القاعدة كثيراً ما تشذ ، وقد كثر شذوذها في الآداب الفرنسية ، فان لدينا طائفة كبيرة من الكتاب العظام لم يحظوا في حياتهم بعطف الجمهور وتقديره ، فيقال بأنهم يكتبون لأنفسهم ؛ لتكن هذه الطائفة لم تعدم بعد حين الأنصار الذين رفعوها إلى المكان اللائق بها ؛ وقد فطنوا للنظرات العجلى التي لم يستطع ادراكها المعاصرون . وكأني بذلك أعود بالمخيلة إلى بودلير والى رامبو والى ستاندال أيضاً الذي كان يكتب لعدد ضئيل من محبي أدبه ، ويقول بأن قراءه الحقيقيين لم تلدهم أمهاتهم بعد .. بل وأتخيل نيتشه ووليام بلاك ومكفيل الذين لم يكن حالهم بأحسن من حال الأولين . هذا واني لم أذكر إلا الكبار

نشهد اليوم حادثاً لم يسبق للتاريخ مثله ، عظيم الأهمية ، لا تقاس به الأحداث ، ذاك هو النظام الجديد القائم في روسيا السوفيتية ، ولست مبالغا إذا قلت بأنه عمل « نموذجي » ينسج على منواله ؛ إن بلادا يجري فيها مثل هذا النظام تجعل الكاتب يتحسس بيئته ويتصل بقرائه اتصالاً مباشرا ، لا يدور حولهم كالتائه يفتش عن ضالته كما هي حالنا معاشر الكتاب ، فيستمد من الحقيقة التي تحيط به مادته ، ويستلهم منها أخيلته ، ويستمع إلى صداه بأذنه . إن بلاداً مثل هذه يؤدي فيها الأديب رسالته كما يجب أن تؤدى ، جديرة منا بكل اعجاب . بيد أن ذلك كله لا يفيد . إن الطريق كلها سليمة لا تعتورها الأشواك ، وكيف تجتنب الأخطار جميعها مادام العمل الفني في طبيعته ضعيف المقاومة ، قليل التأثير بادئ ذي بدء . ولعل الكلام عن مثل هذه الأخطار التي هي من طراز جديد ستحين له فرصة ثانية ، لقد رأيت في النتاج الأدبي السوفييتي آثاراً أثارت مني كل اعجاب ، لكنها ما تزال بعيدة عن أن يتمثل فيها الانسان المنتظر ، الذي ما برح هذا الأدب يعمل على ايجاده ، وهو ما يزال في

(١) الأسطورة تقول إن أنتيوس Antée بن جي (الأرض) اعترض هرقل في طريقه إلى أطلس (الذي يحمل السماء على منكبيه) وقد وسوس اليه الشيطان بقتله فكان صراع طويل حتى فطن هرقل إلى السر الذي يستمد منه خصمه أنتيوس قوته كلما بدأت تواه أن تخور بوقوفه على الأرض فرفعه رفعة هائلة ثم أخذ يضغط على عنقه الغليظ العبل حتى شهق شهقة كانت هي شهقة الموت (المعرب)

مراحله الأولى يصور لنا أدوار التكون والمخض والولادة ، وانى لشديد الأمل برؤية الآداب السوفيتية قد كبرت واشتد ساعدها ، فأصبح الكاتب فى كنف الحقيقة الماثلة ، فاتحة له صدرها يضمها بكلتا يديه

إن الأدب الخالد الذى تقبله النفوس وتقدم عليه بشغف يتجدد فى كل حين ، لاينقطع لسد حاجة وقتية تنبعث عند طبقة من الناس ، فى وقت من الأوقات ، وعلى هذا الأساس ، فان حكومة السوفييت لم تقتصر على طبع الآثار والمؤلفات التى جادت بها قرائح كتابها وشعرائها ، فانها عنيت عناية فائقة بنشر أشعار بوشكين ، وتمثيل مسرحيات شكسبير ؛ ولم تقل قط بأن أدب كتابها مرسوم له الخلود ، ولا هى تستبعد أن يكون نتاج هؤلاء الكتاب صائرا إلى الزوال بزوال الحاجة التى دفعت اليه ، مادام الزمن لم يحكم حكمه عليه ، وإذا كان هنالك من شىء يمسخ الفائدة التى يمكن أن يجنيها الناس من قراءة الكتب وانشاء الأشعار ، فما هى إلا أن ترسم لهم الأمثولة ويحدد لهم المغزى ، وفى التدليل الكثير على العظة التى تتضمنها الكتب ضياع لمسحة الجمال التى يتميز بها الأدب ، ويصبح بذلك ضرباً من ضروب الوعظ الجافة

ليس مما يضير القراء ألا يوفقوا كلهم إلى غاية واحدة ، فان فى استطلاعهم اياها فى أجواء مختلفة فائدة لا تقدر ، وفى ذهابهم مناحى متباينة بعد عن أن تكون هناك سلطة يستهذون بها . هذا والثقافة كانت لجلاء الذهن واطلاق الفكر قبل أن تكون عامل ارشاد وتهذيب

تتوجه أنظار المفكرين ، فى هذا الزمن ، الى الرانتشال الانسانية من وهاد الاضطهادات التى تردت فيها ، وانى لا أقدر لهؤلاء المفكرين أن يظل الانسان موضع اهتمامهم يوم يفلت من قيده وينطلق حراً شريفاً ، فلا يعنون به إلا خانعاً ذليلاً أو غرا جهولاً ، بل ولقد أسبغ على نفوسنا طول تحدثنا عن البؤس وتغنينا بمحامده ومزاياه حلة من الخنوع والاستكانة لاتليق بها

جميل أن نحلم بمجتمع تسم نماؤه الأفراد ، وأجل منه أن نوقن بقرب قيام هذا المجتمع ؟

ترجمة وتلخيص ماجد شيخ الأرض

٣ ـ الدكتور محمد اقبال

أكبر شعراء الهند الحديثين فى العصر الحاضر

« ان موتى قد أوقد النار القديمة فى بلاد إيران ولكن العرب لا يعرفون شيئا عن غناتى الشجية »
(اقبال)

لأبى النصر أحمد الحسينى الهندى

بدأ الدكتور يقول الشعر فى أول الأمر من نوع الغزل ثم باشر أنواع الشعر الأخرى مثل : « مثنوى » و « قصيدة » و « رباعى » و « قطعة » و « مسدس » فأجادها إجادة تخلب القلوب ، غير أن كمال شعره ليس فى هذه الأشكال والقيود الظاهرية ، بل فى ابتكار المعانى ، وإبداع البيان ، ودقة الفكر ، وسمو الخيال ، وحسن التركيب والتشبيه ، وقوة الكلام التى يشتمل عليها شعره . فأنت ترى كيف أن تلك الصفات أورثت التصوير حسناً ورونقاً فى قصيدته « الأمنية » التى طلب فيها من الله أن يخرجه من ضوضاء هذا العالم ويسكنه محلاً هادئاً ذا منظر بهيج . قال فى وصف ذلك المنظر :

« ... فلتكن (فى ذلك المحل) الأشجار مصطفة فى جانبين يرسم صورتها ماء النهر الصافى ، وليكن منظر الجبال فيه فتاناً إلى درجة أن يقوم الماء فى شكل الأمواج لرؤيته ، ويمس الماءَ فرعُ الورد مائلاً كأن حسناء ترى وجهها فى المرآة ، وعندما تحنّى الشمس عروس الليل تلبس الأزهار كساء ذهبياً مشرباً حمرةً ... الخ »

وقال فى وصف الحباحب الطائرة ليلاً فى الحديقة :

« إن نور الحباحب يلمع فى معمورة الحديقة كأن الشمع منور فى محفل الأزهار ، أو نجمة قد جاءت طائرة من السماء ، أو شعاع القمر قد نفخ فيه الروح ، أو سفير النهار قد جاء فى سلطنة الليل فكان خاملا فى وطنه وبرز فى الغربة . أو زر قد وقع من قباء القمر أو ذرة قد ظهرت من قميص الشمس . إن فى هذا القمر الصغير نوراً وظلمة فكأنه يخرج من الخسوف حيناً ويدخل فيه حيناً ... الخ »

إن الدكتور إقبال ليس بشاعر فقط بل هو مفكر وفيلسوف أيضاً من الطراز الأول ، وهذا الأمر يزيد شعره حسناً وجمالاً

ورونقاً وكمالاً : فقد قال كوليريج الشاعر المفلق الناقد الأديب الانجليزي الشهير : « لم يكن ولن يكون أحدٌ شاعراً كبيراً مجيداً بغير أن يكون في نفس الوقت فيلسوفاً ومفكراً دقيقاً . لأن الشعر أرج علم الانسان وأفكاره وشعوره وعواطفه ولغته قاطبة . » ففي الشعر يقدر الشاعر الفيلسوف أن يعالج أمراً من أمور الفلسفة الدقيقة ، وعر الملتمس منيع المطلب ببيت واحد ، في حين أنه لا يقدر على معالجته بصفحات من النثر . فأنت ترى كيف أن إقبالاً بين لك في بيت واحد فلسفة الحياة ، ثم نبهك على مواضع الضعف فيك ، وفي هذا التنبيه منه لك تحريض أيضاً على الأعراض عما أنت فيه قال :

حيات چيست جهان را أسير جان كردن
توخود - أسير جهانى بجاتوانى كرد

« ما هي الحياة ؟ هي أن تستأسر العالم لنفسك
(ولكن) مادمت أنت أسيراً للعالم فكيف يمكن لك ذلك »

وقال في بيت آخر ما ترجمته :

« إن الحياة هي أن تخلق اللؤلؤ في صدفك
وأن تنفذ في قلب اللهيب ولا تذوب »

وقال في فلسفة الحياة أيضاً مخاطباً قلبه ما ترجمته :

« أيها القلب تعلم من البرعوم سر الحياة ،
فان الحقيقة ليست بمحجوبة في مجازه
فانه قد نبت من التربة المظلمة ،
ولكن نظره (دائماً) إلى شعاع الشمس »

يجيد الدكتور الانجليزية والفرنسية والألمانية والفارسية والاردية ، ويعرف السنسكريتية والعربية أيضاً ، ويقول الشعر بالفارسية والاردية . وجميع مصنفاته التي ظهرت الى الآن هي كما يلي :

١ — مصنفاته شعرا :

١ — بابك درا (أي صوت الجرس) : وهو ديوان باللغة الاردية يحتوي على أنواع الشعر المختلفة من باكورة شعره

٢ — أسرار خودى (أي أسرار الأنانية) : وهو أول دواوينه باللغة الفارسية وشعره من نوع المثنوي . نشره في سنة ١٩١٦ ، ويحتوي على مباحث إسلامية فلسفية دقيقة للتربية الأنانية . وقد ترجمه المستشرق الشهير الدكتور نكلسن الى اللغة الانجليزية

٣ — رموز بيخودى (أي رموز إنكار الأنانية) : وهو الديوان الثاني باللغة الفارسية وشعره من نوع المثنوي نشره في سنة ١٩١٨ ، وهو كالتكملة للأول لتكوين الأنانية العليا وتربيتها

٤ — پيام مشرق (أي رسالة الشرق) : وهو ديوان باللغة الفارسية يحتوي على أنواع الشعر المختلفة ، نشره في سنة ١٩٢٣ وقد صنفه رداً على « الديوان الغربي » للشاعر الفيلسوف الألماني الشهير جوتيه . وقد ترجمه الدكتور نكلسن الى الانجليزية

٥ — زبور عجم : ديوان باللغة الفارسية وشعره من الأنواع المختلفة ، ويحتوي على أرق العواطف وأدق الأفكار الفلسفية . نشره في سنة ١٩٢٦

٦ — جاويد نامه (أي كتاب جاويد) : وهو ديوان باللغة الفارسية نهج فيه الشاعر منهج فاوست لجوتيه ، ويحتوي على أدق الأفكار الفلسفية الاسلامية . وقد نسبه الى أصغر أبنائه المسمى « جاويد » . نشره في سنة ١٩٣٢

٧ — مسافر : وهو ديوان صغير باللغة الفارسية ، شعره من نوع المثنوي ، يحتوي على ما جادت به قريحته حين سافر الى افغانستان تلبية لدعوة المغفور له جلالة الملك نادرشاه خان ملك افغانستان في سنة ١٩٣٣

٨ — بال جبريل : ديوان باللغة الاردوية ، يشتمل على ما جادت به قريحته عند زيارته الآثار الاسلامية في الأندلس ونشره سنة ١٩٣٥

٢ — مصنفاته نثرا :

١ — السياسة المدنية : صنفه باللغة الاردية وهو أول مصنفات الدكتور

٢ — تاريخ التقدم الفكري في بلاد إيران : وقد نال بتقديم هذا الكتاب شهادة الدكتوراه من ألمانيا

٣ — المحاضرات الست : وهي التي ألقاها في الجامعات الهندية ، وتحتوي على فلسفة الالهيات الاسلامية

لقد طال بنا الحديث ونحب أن نختمه بكلمتين وجيزتين : منزلة شعر اقبال في الهند : وصداه في العالم ، فأما منزلة شعر اقبال في الهند ، فلشعره رسالة ستعرفها حين نفرد لها مقالاً في المستقبل إن شاء الله . والرسالة إذا قامت لا بد أن تجذب ما حولها الى نفسها كذلك شعر اقبال ، ولا يتسع المجال هنا لأن

نستقصي رأي جميع طبقات الهيئة الاجتماعية الهندية في شعر اقبال لاباة جاذبيته ومنزلته . وإنما نكتفي برأي طبقة الشعراء لأنهم أدرى بحقيقة فنه ودقائقه

إن الشعراء في الهند كثيرون فمنهم من يجيد الشعر بالأردية ومنهم من ينشئه بالفارسية ، ومنهم من يتقنه باللغتين ، ولكن إقبالاً أسبقهم غير مدافع ، وأفضلهم غير معارض ، ولشعره بينهم القدح المعلى ، فقد اتفقوا جميعاً على أنه هو شهابهم الساطع ، وبدرهم الطالع ولقبوه « بترجمان حقيقت » (أي المعبر عن الحقائق) وقد شدا غير واحد منهم ناشراً طراز محاسنه في المجالس ، وناثراً لآلئ وصفه في المحافل بالأبيات والقصائد نقتطف بعضها هنا . قال مولانا غلام قادر گرامي [1] وهو من كبار شعراء الهند ويقول الشعر بالفارسية :

در دیده معنی نگهان حضرت إقبال
پیغمبری کردو پیمبر نتوان گفت

« إن في رأي أرباب النظر قد قام حضرة إقبال بعمل النبوة ولا يمكن أن يقال له نبي »

وقال الشاعر فكار — وهو من مسقط رأس إقبال ويقول الشعر بالفارسية والأردية — وهذه ترجمته :

« إنك قد جئت بكأس من الحانة القديمة وبنغمة داودية من وتر الرباب »

« يا طبيب روح الأمة ! أنت قد جئت بعهد الشباب في دين ابراهيم بدواء الفلسفة »

« وقد كشفت عن نفسك بواسطة (رموز إنكار الأنانية [2]) يا أبا الحكمة أنت قد جئت بالنهر من السراب »

وقال السيد بشير أحمد اخگر — وهو من كبار الشعراء باللغة الأردية — وهذه ترجمته :

« إن وجودك لي سبب الحياة . إن أسرار أنانيتك [3] لي باعث زيادة الهمة »

« إن رموز (إنكار الأنانية [1]) قد حل العقد . إن (صوت الجرس [2]) قد أصبح لي دليل الطريق »

« إن روح (غالب [3]) وحنو (مير [4]) في قلبك يا إقبال إن حسن ليلى الشعر مخفي في محملك [5] هذا »

أما صدى شعر إقبال في العالم ، فلشعر إقبال في أفغانستان مرتبة لا يشق غبارها وعزة لا يدرك شأوها ، إذ لا تقام حفلة من حفلات الحكومة إلا وتهز فيه فرق الموسيقى الحكومية قلوب الحاضرين بأناشيد إقبال وبخاصة « نشيد المسلم » منها . وقد نشر أقا هادي حسن وزير التجارة مقالات في شعر إقبال . وبخاصة عن ديوانه « رسالة الشرق » في مجلة « أمان أفغان » التي تصدر بكابل

ولم تخل الجرائد والمجلات في ايران تنويهاً بشعر اقبال ، كما أن أهل العلم والأدب فيها يحيطون به خبراً ، ويثنون عليه أطيب الثناء

وفي تركيا ترجم كثيراً من شعر اقبال إلى اللغة التركية الكاتب المفكر الكبير حسين دانش ، وكتب مقالات عديدة عن ديوانه « رسالة الشرق » وبسط نظرياته فيها

وسافر أحد علماء روسيا إلى الهند ليلتقي بالدكتور اقبال فقط ، ثم نقل إلى اللغة الروسية نظريات الدكتور التي في ديوانه « أسرار الأنانية »

وفي مصر نشر غير مرة صديقنا الفضال الدكتور عبدالوهاب عزام ترجمة بعض المقتطفات من شعر اقبال

وفي ألمانيا ترجم الأستاذ دايشو ووسو مقدمة ديوانه « رسالة الشرق » إلى اللغة الألمانية ، كما أن الدكتور فيشر الأستاذ بجامعة ليبزيج وصاحب مجلة « اسلاميكا » كتب مقالات عن الديوان « رسالة الشرق » ، وقارن فيها شعر اقبال بشعر الشاعر الألماني الشهير جوتيه ، وترجم الشاعر الفيلسوف الألماني هانس ماينيكه قطعة من ديوانه « رسالة الشرق » إلى الألمانية ثم كتبها بيده وجلدها تجليداً جميلاً على الطراز الشرقي موشى بالذهب والفضة أهداها إلى الدكتور اقبال تقديراً لشعره واظهاراً لحسن اعتقاده فيه . وقد أنشئت أخيراً جمعية باسم اقبال لتعريف شعره ونشر مبادئه في ألمانيا . وتترجم في ألمانيا الآن محاضرات الدكتور

(١) توفي رحمه الله في سنة ١٩٢٧ ميلادية ، وكان من عشاق شعر إقبال . فما قرب من الموت كان يردد هذا البيت على لسانه :

صبابه بحضرت إقبال اين پيام ده
كه رفت جان كرامي وتوهنوز خموش
أيتها الريح بلغي رسالتي هذه الى حضرة اقبال ان
روح كرامي قد طارت وأنت لازلت ساكتاً

(٢) اسم لديوان اقبال (٣) اسمان لديوان اقبال

(١) اسم لديوان اقبال (٢) اسمان لديوان اقبال
(٣) غالب كان رأس شعراء اللغة الأردية ، فهو بمثابة شكسبير وجوته بالأردية (٤) ميركا أحد كبار شعراء اللغة الأردية
(٥) يريد به قلبه

في الأدب الانجليزي

الكائنات الغيبية

في شعر شكسبير

The Supernatural

بقلم خيري حماد

مقدمة :

لا شك في أن عبقرية شكسبير ظهرت في مناحي عدة وصور مختلفة ، وليس من السهل على أي شخص مهما كانت نزعته ومهما تباينت عقليته أن ينكر أن شكسبير هو شاعر بريطانيا الأعظم وكبير من كبار الشعراء العالميين ، ولكن ويا للأسف اختلف النقاد في انكلترا وفي غيرها من بلدان العالم في تحديد الدرجة الممتازة التي وصل إليها هذا الشاعر . فاعتبره البعض أعظم شاعر بزغ نجمه على هذه البسيطة لا في عصره فحسب ، بل في العصور التي سبقته أو تلته . وأنكر البعض الآخر هذا الادعاء وتحاملوا عليه تحاملاً ظاهراً ، معتقدين أن عظمته لا تفوق

التي ألقاها في الجامعات الهندية في فلسفة الالهيات إلى اللغة الألمانية

وفي ايطاليا نشر العالم الطلياني الكبير الدكتور اسكاريا الذي زار أفغانستان والهند وقابل الدكتور اقبال مقالات عن شعر اقبال في مجلة أدبية ايطالية

وفي انجلترا ترجم الدكتور نكلسون ديوانه « أسرار الأنانية » وجزأ من ديوانه « رسالة الشرق » إلى الانجليزية ونشرهما فذاع بهما صيت الدكتور في أمريكا وبلاد أخرى أيضاً ، ونوهت أندية العلم والأدب والجرائد والمجلات العلمية والأدبية بشعره ، وكتب عن « أسرار الأنانية » المرحوم الدكتور براون المستشرق الانجليزي الشهير في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية ، وأيضاً نوه باقبال وشعره في تصنيفه تاريخ الأدب الفارسي في المجلد الرابع منه

وفي أمريكا صنف العالم الأمريكي الجليل ميكنزي كتاباً أسماه « يقظة الهند » فنوه فيه باقبال وشعره ونظرياته وفلسفته

السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي

في أية ناحية من نواحيها عظمة جوتي الألماني ودانتي الايطالي

إن من الصعب أن أبرهن في هذه العجالة على عظمة شكسبير وتبريزه على غيره من شعراء العالم ، ولم أقصد فيها إلا البحث في ناحية واحدة من مناحي تفكيره العميق وخياله البدع الذي تناول بواسطته جميع نواحي الحياة من عقائد وتقاليد فدونها في شعره ورواياته . نعم كان من الصعب عليه أن يوفق بين عقائده الشخصية وبين عقائد مجتمعه البشري ، ولكنه خرج من هذا الميدان مكللاً بأكاليل من الغار وتيجان من الظفر

لم تكن الخرافات والغيبيات (Supernaturalism) عقيدة راسخة في تفكير شاعرنا ؛ فقد كان دائم الاضطراب والشك في هذه الناحية من مناحي الغموض والخفاء المقليين . لقد حاول في رواياته أن يبتعد عن العقائد الشائعة العامة ، ولكنه لم يستطع ذلك لتخوفه من الرأي العام السائد في تلك الأيام الرهيبة

عقائده الدينية :

ولد شكسبير سنة ١٥٦٤ إبان الدور الأول من حكم الملكة اليصابات في عصر اشتد فيه النزاع الديني واختلفت فيه العقائد ، حتى أصبحت مصدر شقاء وينبوع استبداد ساد انكلترا قرناً من الزمان . ولنراجع في الفقرات التالية صفحات التاريخ فنرى كيف انتشرت البروتستنتية في انكلترا ، وبأية صورة كان نشوؤها وتطورها

كلنا يعرف أن الملك هنري الثامن أراد طلاق امرأته الاسبانية كاترين لعشقه غادة من غادات البلاط ، كانوا يسمونها (آن بولين) ولم يكن في الامكان في ذلك العصر تحقيق تلك الرغبة الجامحة ، فما وسع هنري إلا أن يحدث نزاعاً اشتد أمره مع رئيس الكنيسة الأعلى وحامي حماها في الشرق والغرب . طغت عليه الروح الاستبدادية روح العظمة والتفوق ، فحدثته نفسه بالانفصال عن كنيسة رومة ، ولم يلبث أن أعلن ذلك الانفصال ونصّب نفسه رئيساً أعلى للكنيسة الانكليزية

ولم تكن هذه الحركة في بدء أمرها إلا حركة سياسية محضة لم يشبها شائب من الدين والعقائد ، ولكن ما لبث أن فارق هنري دنياه ونصّب ولده الطفل أدورد ملكاً على عرش بريطانيا ، فكان له من الأنصار والساعدين نفر اشبعت نفوسهم بروح البروتستنية فأعلنوا أن الكنيسة الانكليزية قد غدت منفصلة

تمام الانفصال عن الكنيسة الكاثوليكية ووضعوا كتابين من كتب الصلاة ليقرآ فى الكنائس بدلاً من الكتب القديمة

حركة جريئة أعقبتها فترة إحجام ورد فعل . مات إدورد فتبوأت مارى تيودور العرش ، وكان لتربيتها الكاثوليكية أثر عظيم فى نفسها مالبث أن دفعها للاعلان عن فساد جميع القوانين التى ظهرت فى عهد سلفها ، وعن رجوع الكنيسة الانكليزية إلى الحظيرة الكاثوليكية . ولتحقيق تلك الرغبة فى نفسها سنت قانوناً تحتم فيه على كل قس أوراهب أن يرجع إلى الحظيرة القديمة وإلا كان جزاؤه الموت والعذاب

أخيراً انتقلت تلك الملكة الغاشمة إلى جوار ربها وارتقت اليصابات العرش . ونظراً لروحها الاستقلالية ولميلها إلى الطموح والعظمة لم تلبث أن أعلنت بعد مرور ستة من تسنمها العرش . الانفصال التام عن الكنيسة البابوية وتنصيبها نفسها رئيسة عليا للكنيسة الانجليزية

لو أتيح لنا الاطلاع على كثير من الرسائل الشخصية التى كتبها الشاعر العظيم لأصدقائه وأخدانه لأمكننا الوقوف على عقائده وأفكاره الدينية ، هناك أمور عدة تحملنا على الاعتقاد بأن شكسبير كان رجلاً ديناً خيراً ، ولكن حرية فكره كانت سبباً دائماً فى انشغاله بأسئلة لا حد لها عن الموت والحياة غير متأثر بالعقائد الدينية السائدة فى عصره . كان والده بروتستنتياً متطرفاً ، فلا بدع أن نراه متأثراً أثر والده ، متحاملاً على البابوية والكثلكة أشد التحامل وأقساه . وبرغم هذا التحامل الظاهر فان الكنيسة البابوية ادعته فى كثير من الظروف والأحيان ابناً باراً من أبنائها وعلماً من أبرز أعلامها . واستندوا فى إدعاءاتهم هذه على كثير من البراهين والحجج التى إن لم تكن ضعيفة فى حد ذاتها ، فلا تصل إلى تلك الدرجة من الاقناع التى يتوخونها ويطلبونها

قد نستطيع من دراستنا لروايات هذا الشاعر أن نحدد العقائد التى كان يؤمن بها . فلقد صوّر فى هذه الروايات عدداً كبيراً من رجال الدين أمثال الراهب فرنسيس والراهب لورنس ، وكان فى كل صورة من أمثال هذه الصور يتوخى التبجيل والاحترام لرجال الأكليروس . إلا أن هذه النظرة وهذا الاحترام لم يتجاوزا طبقة الرهبان إلى طبقة البابوات ؛ فروايته التاريخية التى تتناول سيرة الملك يوحنا (King John) تعد فى حد ذاتها أكثر الروايات تحاملاً على البابوية والكثلكة . وعلى الرغم من ازدياد نفوذ البابوية فى هذه الأيام وتفوقها على السلطة الزمنية نرى عدداً قليلاً من الملوك يضربون بسلطتها عرض الحائط ويحاولون نزع نير العبودية عن عواتقهم ، فكثيراً ما تعرضوا لوكلاء البابا وممثليه وأفحشوا لهم القول غير هيابين ولا وجلين . دعنا نعرض الأقوال الجريئة التى فاه بها الملك يوحنا مجيباً على تدخل البابا فى مسائل سياسية لا تعنيه شيئاً فهو يقول :

هل يمكن لأى رجل دنيوى مهما عات سلطته وارتفعت منزلته أن يعارض إرادة الملوك المقدسة ؟ فليس باستطاعتك أيها الكردينال أن تضطرنى إلى إطاعة رجل حقير لايسعنى إلا الاستهزاء به . اذهب إلى سيدك البابا وأخبره ما أسمعتك من قارص الكلام وزد على ذلك أن ليس لأى قسيس إيطالى أن يتدخل فى المسائل الانكليزية ، ومادمنا بمشيئة الله وإرادته قد وُجدنا رؤساء لهذه الأمة فلنا الحق وحدنا فى السير بها حسبما نشاء ونرغب دون أية مساعدة من إنسان . قل له إن ذلك الاحترام وإن تلك السلطة الغاشمة قد تقاص ظلمها منذ مدة » (١)

وفى خطاب آخر من نفس الرواية يعدد الملك يوحنا المساوئ الكثيرة التى كانت الكنيسة تتصف بها فى هذه العصور . فالبابا أصبح رجلاً مأجوراً يمكن للملوك أن يستخدموه إذا رشوه بالكثير من الأموال ، فليس من واجب الملوك أن يطيعوا رجلاً كهذا الرجل ، وهذه النظرية تتبين لنا فى مواضع عدة من روايات شكسبير فهو يتخذ من البابا أداة للسخرية والهزء فى رواية تيتس أندرونيكس (Titus Andronicus) إذ يقول :

« إنى لأعلم تمام العلم أنك رجل وفى ورع تحمل بين جنبيك نفساً طاهرة وضميراً حياً ، وأن لك حيلاً تماثل الحيل العديدة التى يتبعها البابا فى بسط نفوذه وجمع ثروته » (٢)

يتبع

مهيرى حماد

(1) King John . Act . III . Sc. I . 147 — 160
(2) Titus Andronicus V . I . 74 — 78

فن الحيـــــاة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مقدمة :

إن للانسان فى الحياة نشوة كنشوة الفنان عند الصنع ، أو كنشوة المطلع على الفن عند الاطلاع عليه ، فاذا عدم هذه النشوة سهل عليه أن يسوغ الحياة وأن يلتذها ، ولا يمنع عدمه الحياة فنا جميلا من نقدها أو الرغبة فى إصلاحها ، كما يفقد المطلع على الفن ما يشاهده من الفن ؟ وكذلك لا تمنع الرغبة فى إصلاح الحياة من النظر إليها كأنها ممثلة حسناء تمثل الخير والشر فلا يكرهها من أجل تمثيلها الشر ، وهنا خير من أن يظل يبكى ويندب لأن ثمر الشر الذى فى كل نفس لم يتحول هرة وديعة كالتى تراها فى المنازل ، وهو لو تحول ما تجاوز أصله ولا فصيلته ، إذ الثمر والهرة من فصيلة واحدة « الناظم »

أيا حسن هذا العيش لو كان قصة ... يُسَرُّ بها سارى الورى وهو يسمرُ
على ما بها من ضجة بين شقوة ... وكم عاشق للنقص يهوى ويُنكر
فليت الفتى يبدو له صرف عيشه ... كعيش غريب قصةً تتدبَّرُ
ويا رُبَّ مأساة إذا ما بدت له ... تُمَثِّلُ إنْ يحزن لها فهو يصبر
وفى فنها ملهى وحسن وسلوة ... ولولا فنون العيش ما كان يُعذَر
وان كان رب الناس يقضى اقتتالهم ... فما شأن مثلى وهو أعلى وأقدَر
وما قَصَّرَت بى رغبةٌ عن محاسن ... أريد لها عيشاً سوى العيش يُقْدَر
حياة كحسناء المسارح شرها ... إذا ما حكته عاد بالفن يبهر
ممثلة حسناء كم مثلت أذًى ... وغدراً أجادت فنها وهى تغدر
فما زادها إلا بهاء وحظوةً ... لدى عاشقيها وهى بالفن تأسر
تَمَلَّيْتُهَا لما ولعتَ بفنها ... ولولاه تُزْرِى بالحياة فتكْدُر
حنانيك إن العيش فن فلا تُرَع ... وان ناب خطب فهو تحكى وتخبَر
تُعَانُ بهذا الرأى إن كنت قادراً ... وان أمكن الاصلاح لم تكُ تُقْصِر
يمثل كلٌّ دوره فى حياته ... فإنْ راق فن فهو شأوٌ ومَظْهر
أإنْ نَمِرٌ فى النفس لم يُمْسِ هِرَّةً ... تظل على الاسقام تبكى وتسخر
وما نَمِرٌ عن هِرَّةٍ بمُبَاعَدٍ ... ويطغى وديعٌ حين يبغى ويقدِرُ

عبد الرحمن شكرى

كأس تفيض

للاستاذ محمود غنيم

لكَ اللهُ لا تشكو ولا تتبرَّمُ ... فؤادكَ فيَّاضٌ وثغرك مُلجَمُ
يفيض لسانُ المرء إن ضاق صدرُه ... ويطفحُ زيتُ الكيل والكيلُ مفعَم
وهل يُطبق العصفورُ فاهُ على الشجى ... ويمتلئُ الحاكى فلا يترنَّمُ ؟
تعللتُ دهراً بالمنى فاذا بها ... قوارير من مسِّ الصِّبا تتحطَّمُ
لعمرك ما أدرى على أىِّ منطق ... أُشاهدُ فى مصرَ الحظوظَ تقسَّمُ
حملنا على الأقدار وهى بريئة ... وقلنا : هى الأقدارُ تُعطى وتَحرِم
فمن يكُ ذا قُرْبى ومصر فاننى ... بمصرَ وحيدٌ لا شقيقٌ ولا حَم
فلا غروَ أنى قد سكنتُ بأرضها ... كما سكنت أهرامُها والمقطَّم
وقفت مكانى لا أريم وإنَّنى ... على الشوك من طول السُّرَى تتورَّم
كأنى إطارٌ دائرٌ حولَ محور ... يسير بلا بطء ولا يتقدَّم
وما أنا ممن تخطئ العينُ مثلَه ... ولكن تعامى القومُ عنى أو عَمُوا

* * *

أيذوى شبابى بين جدران قرية ... بباب كأنَّ الصمتَ فيها مخيِّم
أكادُ من الصمت الذى هو شاملى ... إذا حُسِبَ الأحياء لم أكُ منهمُ
وعاشرتُ أهليها سنين وإننى ... غريبٌ بأحساسى وروحى عنهمُ
يقولون : خضراء المرابع نضرةٌ ... فقلتُ : هبوها لستُ شاةً تسوَّمُ
على رسلكم إنى أقيمُ بقفرةٍ ... يجوز على الأحياء فيها التحكُّم
سئمتُ بها لوناً من العيش واحداً ... فداريِ بها دارى وصحبى هُمُ هُمُ
حياةٌ كسطح الماء والماء راكدٌ ... فليس بها شىءٌ يَسُرُّ ويُؤلم
وما أبتغى إلا حياةً عنيفةً ... تسرُّ فأرضى أو تسوء فأنقِم
حياةٌ كلجِّ البحر والبحرُ زاخرٌ ... تُدوِّى بها الأنواء والرعد يَهزِم
حياةٌ بها جِدٌّ ولهوٌ ، بها رضًا ... وسُخْطٌ ، لها طعمان : شهدٌ وعلقم
فمن مبلغٌ بنت المعز بأن لى ... فؤاداً عليها كالطيور يحوِّم ؟

وأنىَ من سبعٍ خلَوْنَ محافظٌ على العهد إن خان العهودَ متيّم
فان تجفنى مصرٌ فحسبىَ أننى أحُجّ إليها كلَّ عام وأحرم

* * *

حنانيك إنى قد برمتُ بفتيةٍ أروحُ وأغدو كلَّ يومٍ إليهمُ
صغارٌ نربيهم بمثل عقولهم ونبنيهمو لكنّنا نتهدّم
لأوشكُ أن أرتدّ طفلاً لطولِ ما أمثّل دورَ الطفل بين يديهمُ
فصولٌ بدأناها وسوف نعيدها دواليكَ ، واللحنُ المكرّر يُسأم
وما كنت أُعنَى بالنتيجة طالباً فصرت بها فى هدأة الليلِ أحلُم
فمن كان يرثى قلبُه لمعذّبٍ فأجدر شخصٍ بالرثاء المعلّم
على كتفيهِ يبلغُ المجدَ غيرُهُ فما هو إلا للتسلّق سُلّمُ
وَددْتُ لَوَ انّى عدت للدرس ناشئاً أسيرُ وفى يمناى لوحٌ ومِرقم

* * *

يقولون : منطيقٌ أغرُّ بيانُه فقلت لهم : لكنّ حظّىَ أبكم

أرى الحظ مُنقاداً لكل مهرّج فأما على الأكفاء فهو مُحرّم
يفوز به من يقطع السّبْل مُلحفاً ويغشى بيوتَ الناس والناسُ نوّم
ورُب أمورٍ يخجل الحرَّ ذكرُها وبعضُ الذى يُروَى عن الناس يكتم
وكائن ترى الحرَّ الأبيّةَ نفسُه يضيع له حقٌّ وآخرُ يُهضم
فياليتنى أغضيتُ جفنى على القذَى وعلّمت نفسى بعضَ ماليس تعلم
فلو أن نفسى طاوعتنى فرضتها على الهوْن لم أخسَرْ وغيرى يغنم
ألا فليَسُدْ من شاء حسبىَ أننى ضَنَنْتُ بماء الوجه حين تكرّموا
نظمتُ فما أطريت غيرى تزلّفا ولكن لنفسى لا لغيرىَ أنظم
ولم أتنزّل فى الكرام وفضلهم وغيرى بهم لا بالكواعبِ مُغرم
وإنى لمغبونٌ إذا صرتُ قيصراً وطوّق بالنعماء جيدىَ منعم

(كوم حمادة) محمود فهيم

الجامعة الأمريكية والصحافة

تفتتح الجامعة الأمريكية بالقاهرة أبوابها هذا العام عن قسم خاص بالصحافة ، على نحو ما تعنى به الجامعات الأوربية والأمريكية لاعداد طالب الصحافة اعدادا جامعياً دقيقاً يتناول دراسة اللغات وعلوم الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس والتاريخ والفلسفة والعلوم السياسية ونظام الحكومات والتربية المقارنة ، وكذلك الفنون المرتبطة بمزاولة العمل الصحفى فى نواحيه جميعاً كالأسلوب ، وتحرير المقال ، والتصحيح ، ومهمة الأخبار ، والتبويب وما اليها

وتبدو مهمة الجامعة الأمريكية فى هذا الباب عظيمة الشأن ، شأنها فى عديد من أقسامها الأخرى كقسم المعلمين والقسم الاعدادى ، واضطلاعها بمسائل الطالب الحيوية واعداده للحياة كما يجب أن يحيا . ولكن طالب الصحافة الجامعى وعناية الجامعة الأمريكية به وعمثل هذا النوع من التعليم فى مصر أو فى الشرق على وجه العموم يكون له من عظم الشأن ما يجعله فى مركز ممتاز دونه فى المعاهد الأخرى نظراً لاعتبارات خاصة لها من الأهمية هى الأخرى ما لها ، لأنه :

أولا : مركز مصر من الشرق فى مقام الزعيمة لايسمح بأن يدانيها بلد آخر فى مضمار الصحافة أو العناية بدراستها

ثانياً : جعل تعليم الصحافة بنوع خاص فى دائرة حرة بعيداً عن الادارة الحكومية والضغط السياسى

ثالثاً : الشعور السائد الذى يتناوب القراء والصحف ، شعور بالحاجة الى توسيع المعارف والمعارف الصحفية وتكثير نسلها

رابعاً : فتح أبواب جديدة أمام طلبة التعليم العالى فى مصر والشرق بعد أن ضاقت بهم صناعات ووظائف أخرى كالمحاماة والطب والهندسة وغيرها

خامساً : تغذية الصحف بعنصر صالح لادارة أعمالها بمهارة ولباقة ، فضلاً عن أن الصحف تعتبر أداة هامة فى نشر المعارف وفتق الأذهان وخدمة الوطنية ، وملاحظة مثل هذه الاعتبارات مجتمعة أو منفردة لما يجعل للجامعة الأمريكية أولاً وأخيراً حق السبق وحق العناية فيما لو فكرت حكومة فى الشرق فى مثل هذا النوع من التعليم ، وإن كان ذلك ، وإن ، فما هو باليوم البعيد الذى نرى فيه الصحفى الأمريكى بمعنى الكلمة أول ثمار الجامعة الأمريكية فى مصر والشرق ما ؟

ا . ت

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

٢٢ – تطور الحركة الفلسفية فى المانيا

الناحية السلبية من مذهب نيتشه

الانسان

للأستاذ خليل هنداوى

بين اليهود نشأت ذرية الكهان ، وبينهم هبت ثورة العبيد ، واندلعت نيرانها على المبادئ الأرستقراطية . تقموا على المبادئ القائلة بأن الصالح والشريف والقوى والجميل والسعيد هم الذين تحبهم الآلهة ، وعملوا على دحضها بمنطق قوى . قالوا إن الضعفاء والعجزة والأشقياء والبؤساء هم الصالحون وحدهم ... وإن المتألمين والتعساء والمرضى والقبيحين هم وحدهم المقربون إلى الله ، ولهم وحدهم أعدت مساكن النعيم . أما النبلاء والجبارون الأقوياء فهم الجاحدون القاسون ، وهم فى تلك الدار المخذولون والأشقون

جاءت المسيحية فورثت عن اليهودية هذا الميراث . وأكمل الكاهن المسيحى ما بشر به الكاهن اليهودى . وها غبرت عشرون قرناً وهو الظافر المنتصر . فكان أول مشهد من ذلك الانقلاب مسألة النفس والارادة الحرة المختارة . وفى الحقيقة لا نفس منسلخة عن جسد ، ولا وجود للارادة الحرة ، وقد تكون إرادة بلا حرية ولا اختيار . وإنما هنالك إرادات قوية تقوم بأعمال ذات قيمة ، وإرادات ضعيفة عملها ضئيل ، آراء كالرعد يقصف ، هى فى الحقيقة فكرة واحدة ترتدى أثواباً مختلفة . فالرعد ليس بشىء ذاتى يقدر على القصف وعلى غير القصف . إنه رعد حين يقصف ؛ كذلك شأن مجموعة القوات المتجلية فى الرجل القوى لا تبدو ولا تظهر إلا بهذه المظاهر . والعقل الشعبى استطاع بوساطة الافتراض الاختيارى أن يفرق بين الكائن والحادث وبين الارادة ومظاهرها ، وافترض أن وراء أعمال البشر ووراء ما تأتيه إرادة القوة كائناً أو نفساً هى علة هذه الأعمال . وهذه النفس هى جوهر حر يظهر كيفما يشاء ، ويعمل كما يشاء . وهذا الذى تمثلوه « حراً مختاراً » أصبح العبد يساويه بالسيد ، بل يجعله متفوقاً عليه . وهكذا أصبحت قيمة الفرد لا تتوقف على ما يتكون فيه من مجموعة قواته . وبذا زال عندهم تفضيل القوى على الضعيف بفضل منطقهم « لأن القوى يعمل بحسب قواه وهو خاطئ ، لأن عمله بحسب قواه عمل سيئ . والضعيف يعمل بحسب ضعفه وهو ذو حق ، لأن عمله بضعف عمل حسن . فالضعيف إذن هو خير من القوى » ويصف نيتشه وصفاً مؤثراً تلك العوامل التى لجأ إليها العبيد الذين تغلى صدورهم غيظاً وموجدة ، ليحطوا من قدر الأسياد ، وليحولوا أنفسهم الى شهداء وقديسين

هذا هو المثل الأعلى للعبد . فهو يحيا بتلك الدعوات المزيفة التى ابتدعها . ولكن أثقال ضعفه الراسية على ظهره لينوء بحملها فيتألم ويشكو ويتململ ، فيجئ الكاهن لا ليبرئه من دائه ، ولا ليقطع أسبابه كما يصنع الطبيب . يجئ لينسى الصابر ما يحسه من ألم وشقاء ، وليبث فيه « مواد مخدرة » ترقد الألم ولا تمحوه . يغفى مريضه ويعطيه مادة تضعف فيه القوة الحيوية والعقلية يُلقى الزهد والتقشف والبلاهة فى نفسه وجسده خدراً إلى حين ، فيذهل عن ألمه بل يوشك أن ينفك عن كل إحساس فيه . فيغدو هذا الرجل المنحط « قديساً » ، وقد يحيط الكاهن بالرجل فيجعل منه آلة تستغرق كل انتباهه وتجعل منه شيئاً يتحرك بذاته ، ويصرفه عن التأمل فى نفسه والتفكير فيها ، ويلهيه بالانكباب على بهجة حقيرة يُسهل عليه نيلها محبة القريب والمحبة والمساعدة المتبادلة ، ثم يعمل الكاهنَ على أن يصرف « قطعانه المريضة » عن آلامهم الذاتية

وإزاء هذه العوامل التى اختلقها عوامل أخرى ابتدعها لمصلحته الخاصة . عوامل خطرة مؤثرة ، تنطوى على سموم تنسى المتألم آلامه وتفنى فيه قوته الحيوية . وهذا السم هو « الايمان بالخطيئة »

أما أصل الخطيئة فسببه دافعان ولدا اختياراً فى قلب الانسانية . وهما الضمير الفاسد ، والايمان بدين مكتوب على الانسان لله . والضمير الفاسد – عند نيتشه – هو نتيجة تشويش فى النفس عميق . تسيطر على الانسان يوم كان وحشاً مستأنساً ، ثم انقلب عضواً رئيسياً فى قطيع الأحياء ، والحكومة هل هى

إلا - كما يحتمل الذهن - ظلم مرعب فرضه الأقوياء على الضعفاء، وفجأة وجد المغلوبون على أمرهم أن أسباب الوجود عندهم مغلوبة رأساً على عقب، وألفوا أنهم أصبحوا لا يستطيعون أن يتبعوا بحرية واختيار تلك الغريزة الطبيعية التي كانت تسوقهم. فظلوا يبذلون جهودهم بينهم وبين أنفسهم ليقودوا أنفسهم بفطنة، ويضغطون على إرادتهم خشية أن تجازف بالاساءة إلى الأسياد، ويعملون بتعقل وتأمل. ولكن هذه الغرائز هي جزء من قوة لابد لها أن تبدو مظاهرها وآثارها. فاذا كتب على هذه القوة أن يضغط عليها حينا حتى لا تخرج عن نفسها بأي دافع ما، فهي ولا بد مستحيلة إلى قوة خفية تعمل عملها في الباطن. وبمثل هذا التبدل وعلى مثل هذا التحول وُلد « الضمير الفاسد ». فهو وليد هذا الضغط الباطني الذي تصير عليه الغريزة الطبيعية في الانسان. وهو كالوحش السجين الذي عضته الوحشة ونازعه حنينه إلى المرين والحرية والصحراء، ينهش جسمه بين قضبان القفص. كذلك الانسان الابتدائي الأهلي السجين يتألم بنفسه، وغريزة الحياة الكامنة فيه المقيدة بمظاهرها الخارجية أمست تبدو بحالة هيجان باطني

وفكرة الدَّين المكتوب لله على الانسان هي فكرة قديمة مترددة في الشرائع القديمة. ففي العصور الأولى كانت كل قبيلة تؤمن بأنها مدينة بخيراتها الحاضرة للذريات السابقة. وأن الأجداد الذين قضوا يصيرون بعد الموت أرواحاً قوية تتابع تأثيرها في الأحياء وتواصل إحسانها اليهم. ولكن كل إحسان لابد أن يُبذَل ثمنه. وهكذا تولد في عقول الناس أنهم مدينون بشيء لآبائهم وأجدادهم. وهم مضطرون إلى تقديم الضحايا لهم جزاء ووفاقاً على دفعهم للأذى والضر عنهم. ومن هنا نشأت عبادة الأجداد في فجر كل مدنية، ثم تطورت هذه العبادة قليلاً قليلاً. فالاحترام الذي كان يكنه الانسان لأجداده جيلاً ماضياً ينقبض حتى ارتكز في الجد الأصلي للسلالة، ثم نزل هذا الجد بدوره منزلة الآلهة. وكلما كان الآله قوياً مخيفاً كان شعبه الذي يجله ويعبده أكثر فلاحاً وتقدماً، وفي الظروف التي تنمو فيها عظمة الآله ينمو أيضاً الشعور بذلك الدين المفروض في سبيل احترامه وتزداد خشية الانسان من قصوره في العمل لربه.

وبوساطة هذا المنطق ألفينا أن عاطفة خضوع الانسان لله بلغت الدرجة القصوى يوم ظفر إله المسيحية بالأوثان. ودانت له الأرباب وعسكر في مناطق بارزة من أوروبا. فآمن الانسان إذ ذاك بأن الدين قد تضخم. حتى أصبح أجلّ من أن يُوفَى. وجد نفسه أنه مَدين عاجز لا يملك شيئاً والدائن هو الله. فهو والحالة هذه هدف للقصاص الفظيع. والانسان في شدته هذه تحرى عن وسائل كثيرة ليطرح عن ظهره هذا الدَّين الثقيل. فلام الانسان الأول الذي استحق لعنة الآلهة. فابتدع « الخطيئة الأصلية » وجرم الطبيعة، وأنكر الغرائز الكامنة فيه، ونظر إليها كجراثيم شر وشقاء، ولعن الوجود نفسه. وجعل رجاءه كله في العدم وفي حياة ثانية. وفي النهاية أعطى المسألة التي ناء بها ظهره طويلاً هذا الحل الغريب، إن الدين المفروض على الانسان من قبل الله هو دين لن يقدر على أدائه الانسان، والآلهة وحده بقي عن الآلهة. فوجد الآلهة أن يضحي بنفسه في سبيل حبه للانسان واستنقاذه من دين مكتوب عليه. فتمثل إنساناً وقرّب نفسه قرباناً. وبهذا الفصل الذي أدّاه اشترى نفوس الدين يراهم جديرين برحمته ورأفته

يتبع

مُقبل فتحاوي

الليسيه فرنسيه

القسم المصري

إجابة لرغبة العائلات المصرية الكريمة قررت إدارة الليسيه إنشاء قسم مصري ممتاز تدرس فيه جميع مواد الثقافة العربية والثقافة الفرنسية بطريقة تمكن التلميذ المجتهد من الحصول على البكالوريا المصرية والبكالوريا الفرنسية في وقت واحد وتفتح أمامه أبواب الجامعة المصرية وأبواب جامعة باريس

وقد أعدت الليسيه جميع المعدات لهذا القسم المصري الممتاز وستبدأ الدراسة في أول أكتوبر ويستطيع آباء التلاميذ أن يطلبوا ما يهمهم من البيانات منذ الآن من جناب مدير الليسيه من ١٠ — ١٢ صباحاً ومن ٥ — ٧ مساء بمكتبه في الليسيه بشارع الحواياتي رقم ٤

القصص

صور من هوميروس

٧ ـ حروب طروادة

الفدائى الأول

للأستاذ دريني خشبة

رَوِيَت الآلهة إذن وشفت ما فى أنفسها من ظمأ الى دماء الضحايا ، وإن لم تغفر لديانا البارة ، ديانا ربة القمر ، انقاذها للفتاة التعسة إفجنيا ، وهى على قاب قوسين من خناجر الكهنة والرُّبِّيين القُسَاة

لقد أبت الآلهة إلا أن تشرب من ماء الحياة القرمزى المتدفق فى عروق عُبَّادها المخلصين من أبناء هيلاس ؛ فلما ذهب كالخاس ، عرّاف الحملة ، يستوحى أربابه فى معبد دلفى هل لها مطلب آخر فى ضحية أو قربان بعد تقدمة إفجنيا ، ارتفع الصوت الخافت المنبعث من صميم مقصورة الالـه الأكبر يقول : « لا . . . . ولكم أن تقلعوا اليوم . . . . فاذا كنتم عند شطئان طروادة ، فان لنا دم القارس الأول الذى تطأ قدماه رمال الشاطئ . . . سيقتل ، وسيكون لنا عِوَض من إفجنيا ! »

* * *

ودعا اليه أبناءه [1] ايولوس رب الرياح الست فأمرهم أن يكونوا جميعاً فى خدمة الأسطول الهيلانى ، حتى يصل إلى طروادة . . . . « وأنا أعرفك يا بوريس حين تعصف وتزف ، وتصيح ويلا على الجوارى أى ويل ؛ وأنت يا كوروس ، إياك وهذه البوارح التى تصلى بها سفائن القوم ، وأنت يا أكويلو ؛ وأنت أيضاً يا نيتوس ، إن ريحك مُجْفِل ، وهبّتك هوجاء ، ولفحاتك حرور ، وأنفاسك سموم ، فان لم تترفق بالقوم ، وتجر بين أيديهم رخاء ، فلأسجننك فى الكهف الأسود حتى حين ، أما أنت يا ولدى إيودوس ، فاحذر أن تصيب الناس سوافيك أو يسوء فألهم فيك ؛ بل كن لهم خادماً أميناً ، تدفع ركبهم فى رفق ، وتملأ شراعهم فى أناة . . . . ويسرنى أن تسمعوا النصيحة زفيروس ، فهو ألينكم عريكة ، وأكثركم صفاء . . . ألقوا اليه بزمامكم ، ولا تختلفوا فى أمر يلقيه اليكم ، أصلح لكم زيوس أحوالكم . . . . »

وهبت الريح فخفقت أفئدة العسكر ، وابتهجت أنفس القادة ، واجتمع الميرميدون حول أخيل يترضونه ويعتذرون عن رجعهم إياه يوم القربان المشئوم ، ثم انتشرت الشراع ورُفعت المراسى ، وهمت الفلك فاحتواها البحر اللجىّ ، وما عتمت أن صارت من الماء والسماء فى خضرتين ، ومن دروع الجند وزبد الموج فى لبدتين ، ومن قلوب الشعب الهاتف فوق الشاطئ الشاحب فى بحر من الآمال !

واضطرب البحر بعرائس الماء وأبكاره ، أسرعن من كل فج يحيين أبطال هيلاس ، يُخْفِين الوشائج السوداء التى ادخرنها لأيام الفصل ، إن أيام الفصل كانت ميقاتاً

وتوارت الشمس بالحجاب ، وبزغ القمر يفضض حواشى الماء ، وحملقت النجوم ترى إلى هذ الأسطول اللجب يمخر عباباً من خلفه عباب ، ويطوى لجة من ورائها لجة ، واللاحون دائبون ماينون ، مرسلين فى اللانهاية ألحانهم ، مرددة الرياح أغانيهم وأنغامهم ؛ والقادة متكبكبون حول القائد الأعلى ، حول أجاممنون ، يدرسون تلك الخطة ، وينقدون هذه الفكرة ، ويدبرون من أمرهم ما يصل بهم إلى نصر عزيز

---

(١) (Æolus) رب الرياح فى الميثولوجيا اليونانية ، وقد تزوج من أورورا فأنجبت له أبناءه الستة : ١ — بوريس رب الريح الشمالية ، ٢ — كوروس رب الريح الشمالية الغربية ٣ — أكويلو رب الريح الغربية ٤ — نيتوس رب الجنوبية الغربية ٥ — ايوروس رب الريح الشرقية ٦ — نم زفيروس رب النسيم الجنوبى (عن هـ . ا . جريرس ١٨٤)

وتنفس صبح اليوم الثالث . . .

وبدت طروادة العاتية فى الأفق الشرقى ، متشحةً بالشفق النحاسى ، الذى صبغ سماءها بالبنفسج الرائع ، تتفجر منه أنهار من الدم ! !

طروادة !

ذات الأبراج المشيدة ، والقباب المنيفة !

إليوم ! ! (١)

بَنِيَّةُ (٢) نبتيون إلّه البحار يوم نفاه زيوس من جنة الأولمب ، ونفى معه أبوللو ، فساعده فى بنائها بموسيقاه ! !

يا ما أروعه منظراً أن ترى إلى أبوللو العظيم يعزف على قيثارته المُرِنَّة ، فتثب الحجارة وتتراقص ، وتقفز إلى مكانها من أسوارك يا إليوم ! !

طروادة يا ذات الحول !

أين تنام هيلين الساعة سالمة حالة ، وأيان تنقلب تِرْبُ فينوس ملء ذراعى باريس ! !

ويحك يا منالايوس !

إنه ينظر بعينين مشدوهتين إلى أسوار طروادة ، يتمنى لو تندك على العاشقين الآثمين ! !

« . . . أهو الآن يقبلها ، ويجنى جنا خديها بفمه النهم المشتمل ؟ أم هو يضمها إليه فى عنف ، غير آبه لقلبى الخافق المضطرب ! . . . . . »

منالايوس ! لا بد مما ليس منه بد . . .

* * *

لقد ترامت أخبار الحملة الهيلانية إلى طروادة فهب أهلها البواسل يستعدّون ويستمدّون جيرانهم فنصروهم ولبوا نداءهم ، وهرعوا إليهم من كل فج عميق ، وها هى مشارف الجبال وقنها وسفوحها ، ونتوء الشاطىء وصخوره ومغاوره ، وها هى ليديا المتيقظة ، وإيوليا المتحفزة ، وإيونيا الرابضة (٣) . . . ها هى البلاد جميعاً تضج بالجند ، وتعج بالسلاح ، وتقعقع بآلة الحرب ، وتدق طبول الوغى ، وتذكى نيران الحراسة فى قمم الجبال ، فلا تنفل عين ولا تهمد همة ، ولا يتسرب إلى النفوس كلال

واقترب الأسطول من الشاطئ . . .

ولكن أحداً لم يجسر أن يجازف بنفسه ، لأن القتيل الأول ، هو أول من يهبط إلى الأرض ، كما أخبرت النبوءة فى معبد دافى !

ومرت أيام : والهيلانيون فى سفائنهم ينظرون إلى أبراج طروادة وفجاجها ، ويتحرقون شوقاً إلى لقاء جنودها ، ومنالايوس يحرق الأرم هو الآخر ؛ ولكن أحداً لا يرضى أن يكون الفدائى الأول . . . « لأنى إذا نزلت إلى هذا البر المخوف فسيكون الموت محتوماً على ، دون أن أستطيع إلى قتل أحد من هذا الجند من سبيل ، وأنا لم أحضر إلى هنا لأكون قرباناً للآلهة ، ولكن لأزاحم وأنافح وأصول ، فان قتلت بعدها ، فبعشرات وعشرات ، لا كما يقتل كلب البرية غير مفدى . . . »

بروتسيلاوس البطل

بيد أن هيلانياً مقاحماً ، هيلانياً واحداً ، من خيرة القادة ومذاويدهم ، عز عليه ألا يكون فى هذا الجيش العرمرم ، على ما جمع من صناديد اليونان ومغاويرهم ، فدائىٌ واحد يتلقى الطعنة الأولى النجلاء ، بثغر باسم ، وقلب لا يجزع ، ونفس مؤمنة مطمئنة لا تهلع فى موقف الموت ، ولا تفرق إذا حُمّ القضاء !

كبر على بروتسيلاوس أن يرى قومه بجبن ليست لهم يد فيه ، وكبر عليه أن يقف ألف ألف لو شاءوا دكوا الجبال وزلزلوا السماوات ، من دون هذا البلد لا يتقدمون ولا يتأخرون ، كأنما حربهم هزل ، وتقهرهم مُكاء ، وعزمهم تلفيق . أو كأنما ملأوا الدنيا وعيدا ليتملّى الدنيا عليهم سخرية وضحكا !

كبر على بروتسيلاوس ألا يكون هو شهيد هذا الموقف ، فارتخص نفسه ، وهانت عليه الحياة ، وتفهت فى عينيه لذائذ هذا العيش الذليل ؛ ثم استخار أربابه ، واستعاذ بسيد الأولمب ، وما هو إلا أن لمح الشمس بذر قرنها فى خدر الشرق ، فوق جبين طروادة ، حتى قذف بنفسه على الشاطئ ، وأرسل فى الخافقين صيحة الحرب كأنها رعد يميد به جانب الجبل ، وتهتز من قصفه أسوار المدينة ؛ ثم جال جولة هنا وجولة هناك ، وإذا بالسهام ترشقه من كل مكان ، وإذا هو ملق على أديم الثرى مضرّجاً بدمه ، معفر الجبين بأول تقع الوغى

(١) (Ilium) هى طروادة أيضاً ، ومن هذا الاسم اشتق هوميروس كلمة (الياذة) لملحمته الخالدة (Iliad) . وعلى ذكر الألياذة ننبه القارئ إلى أننا — حتى هذا الفصل — لم نصل اليها ؛ وسنشير إلى ذلك فى حينه

(٢) إشارة إلى أن نبتيون هو الذى بناها

(٣) هذه أقاليم قديمة فى غرب الأناضول مما يجاور طروادة براً وبحراً

رهطة من الزهار الأخيرة

وذاع خبر مقتله حتى انتهى الى تساليا ، حيث زوجته الفجيعة ، فحزنت عليه حزناً أمض قلبها ، وشعث جسمها ، وأقض مضجعها ، وصير الحياة في عينها حلكاً شديداً وظلاماً قاعاً ! . . . . « پرتسيلوس ! أهكذا يا حبيبي ذكرت كل شيء في ميدان المجد والشرف ، ونسيت فيه كل شيء ؟ أهكذا يا حبيبي ذكرت التضحية والأقدام حين تخاذل مواطنوك عن مواطن التضحية والأقدام ، فغامرت بنفسك في هذا المعترك المصطرب ، ونسيت أن وراءك قلباً ينعقد رجاؤه لك ، ونفساً ترف من خلف البحار فوقك ، وروحاً لا سكن لها إلا صدرك الحنون ، وعينين لا يعترفان جمال الحياة إلا في وجهك المشرق ، وأذنين ما التذتا إلا الموسيقى المنسكبة من فمك ! ! پرتسيلوس ! ما قيمة الحياة بعدك يا حبيبي ! من لزوجتك التاعسة يوم يفخر النساء بأزواجهن ؟ من للمحزونة الكاسفة لاؤوداميا ؟ ما أشق الحياة علي بعدك يا رجلي ومن كنت كل شيء لي !

لا أسخط عليكم يا أربابي !

بل أنا أصلي لكم ! أصلي لكم بدموعي وقلبي ! أصلي لكم بأحشائي التي تتمزق ، ورأسي الذي يحترق ! أصلي لكم بلساني الذي يجف من شرق في حلقي ، وكان حديث پرتسيلوس يرطبه ويندبه ! أصلي لكم يا أرباب الأولمپ عسى أن تلين قلوبكم لي ، فأرى حبيبي وأموت ! !

رجيتي يسيرة على مقدرتكم يا أرباب الأولمپ ! إما أن أقضي فأسترجع من هذا الكمد الممض ، والبث المؤلم ، وإما أن تأذنوا فيعود پرتسيلوس ، فأراه وأموت !

أتمنى عليكم أن يعود فأكلمه . . . أملأ أذني وقلبي من موسيقاه ! أناديه باسمه ويناديني باسمي ! يعانقني وأعانقه ! يرى الى عبراتي وأنظر الى عبراته ! يبتسم لي في رضاه وفرحه ، وأبتسم له في انكساري ولوعتي !

إئذنوا يا أرباب الأولمپ ، فأنا ما أفتأ أصلي لكم ، وأتوسل إليكم بمنته الزكي ، وروحه الأبي ، وقلبه الكبير !

إرحموا ذلي ، ورققوا لهواني ، وارثوا لحالي ! . . . . . »

* * *

وصيرت بنواحيها إشراق الصباح ظلمة من الحزن لا أول لها ولا آخر ؛ وأرسلت في الليل البهيم أنينها المؤلم ، وزفراتها الحارة ؛ ووصلت بكاءها الطويل بصلاتها الخاشعة ، حتى ارتجفت قواعد الأولمپ ، واهتزت عروشه الذهبية ، وانعقدت بينه وبين لاؤوداميا قنطرة من الحزن ، عبرت عليها بركات الآلهة الى فؤادها المكلوم ، فسحت عبراتها ، وهدأت من روعها ، وبشرتها بعودة پرتسيلوس !

وفي هدأة ليلة مقمرة ، سكن هواؤها وصدح بلبلها ، وأنشد البدر لحنه الصاق على آراده الفضية ليغمرها بهاء وروعة ، خرجت لاؤوداميا المحزونة من قصرها المنيف ، لتلقى روح پرتسيلوس يهديه هرمز الكريم بين يديه ، حتى يكون تلقاء زوجه ، فترتمي بين ذراعيه !

ويغرقان في طوفان من القبل !

ويغرقان في لجة من العبرات !

ويقص عليها پرتسيلوس أنباء مقتله . . . فتبكي . . . وتبكي . . . وتعاتبه لاؤوداميا . . . وتعذله . . . ولكن الساعات الثلاث التي سمحت بها الآلهة للقائهما تمر كاللمح . . . فينبههما هرمز الى انقضائها . . . وماتكاد تسمع نذير هرمز ، وتعرف أن زوجها عائد أدراجه الى هيدز ، فيظل فيها الى الأبد ، حتى تصعق مكانها ، وتخر مغشياً عليها . . . وتموت !

فوا رحمتاً للزوجين السعيدين

(لها بقية) دريني خشبة

مصلحة الطرق والكباري

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة مدير عام مصلحة الطرق والكباري بوزارة المواصلات بمصر لغاية ظهر يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٥ عن توسيع وتغيير السطح العلوي بأرضية من الخرسانة المسلحة للكوبريين الواقعين على مصرف سقارة وجنابية البدرشين تحت الطريق الموصل من سقارة للبدرشين بالقرب من البدرشين بمديرية الجيزة

وثمن دفتر الشروط مائتا مليم ومصاريف البريد خمسون مليما

الباقى على قيد الحياة

للقصصى الفرنسى بلزاك

ترجمة حسن محمد حبشى

حين دقّت ساعة مدينة (منتا) الصغيرة مؤذنة بانتصاف الليل ، كان ضابط فرنسى شاب متكئاً على حافة سياج طويل يحيط بالقلعة ، غارقاً فى لجة التفكير العميق ، وذلك أمر غير مألوف بالنسبة لما يحيط به ، ولكنه كان منصرفاً عن كل ما هو فيه من وقت وليل ومكان إلى التفكير القوىّ ، وكانت سماء أسبانيا الجميلة تمتد فى زرقة صافية فوق رأسه ، قد رُصّعت بالنجوم اللألاءة ، وضوء القمر الساطع يثير هذا الوادى الجميل الممتد تحت قدميه ، وهو يشرف على مدينة (منتا) ويملؤها عائة قدم ؛ وكأن الطبيعة قد هيأتها هكذا لتكون فى مأمن من رياح الشمال الآتية من هذه الصخرة الكبيرة التى تقوم عليها القلعة ، وإذ أدار الضابط رأسه ، أبصر البحر يكتنف البلدة بأمواهه الفضية ، وكأنه قد استحال إلى قطعة من اللجين الذائب ، وكأن القلعة كوكب أو جوهر ضوء وهاج ، وكان وهو فى مكانه ، يسمع صدى رنات الموسيقى ، وعربدة الضباط فى الحفلة الراقصة ، وقد اختلط ذلك بهمهمة الأمواج الآتية من بُعد ، وكأن نسيم البحر والليل جددا نشاطه المنهوك ، زد على ذلك ما حوله من حدائق فيحاء ، وزهور عطرية الشذا ، نفاحة الأريج ، فكأنه مغموس فى حمام من العطر الزكى

وكانت قلعة (منتا) فى حوزة شريف إسبانى ، اتخذها وأسرته دار إقامة ، وكانت ابنته الكبرى (كلارا) الجميلة ترمق الضابط الفرنسى الشاب بنظرات مبهمة ، وإن كانت تنم عن حزن عميق

وكانت كلارا هذه فتانة رائعة الحسن ، فوقع جمالها فى قلب الضابط الفرنسى موقع الماء من ذى الغلة الصادى ، فوقف واجماً يفكر فى هذا الجمال ، وبالرغم من أن ثروة أبيها كانت طائلة ، وموزعة بينها وبين إخوتها الثلاثة وأختيها ، فقد رأى ڤكتور مارشاند (الضابط) أن فيها الكفاية لأن تكون الدوطة كبيرة ، ولكن كيف يتسنى له أن يخطب يد (كلارا) ابنة الشريف الاسبانى ، وهو ابن تاجر صغير فى باريس ، أضف إلى ذلك ما بين الأسبان والفرنسيس من إحن

وكان الجنرال (ج) قد علم من مصدر سرى أن المركيز يحاول أن يوقد مشعل الثورة لنصرة فرديناند السابع ، ولقد أرسل مرشاند ليعسكر فى مدينة (منتا) حتى يكون على علم تام بما ينويه الثوّار ، ولكى يخمد أى حركة يقومون بها ضد الفرنسيس ، وفى ذلك الوقت وصلت إشارة بأن المركيز يتصل سراً بالادارة الانكليزية فى لندن ، وليس من البعيد أن يرسل الانكليز مدداً ؛ ومما حير لب ڤكتور مارشاند أن المركيز قد استقبله وعائلته استقبالاً لا يدل إلا على منتهى الهدوء ؛ ووقع بين أمرين ، إذ كيف يوفق بين هذا الهدوء الذى يتجلى فى المركيز وأعماله ، وبين إشارة الجنرال من وجود مفاوضات سرية ؟ ولكن سرعان ما تلاشت هذه الخواطر من ذاكرته ، حينما مدّ بصره إلى الأمام ، فأبصر عدة مصابيح مضاءة فى المدينة ، مع أنه أصدر أمره ، بأن تطفأ الأنوار كلها فى ساعة معينة ، على رغم أن الليلة ليلة عيد ميلاد القديس سنت جون ، ولم يسمح بالأنارة إلا للقصر فحسب ، ومما أحال الشك يقيناً عنده ، وبأن هناك يداً تعمل فى الخفاء أن رأى ساريات عدة مراكب وسط مياه البحر ، تحت أضواء القمر الفضية . وبينما هو سابح فى تيار التفكير العميق إذ سمع وقع أقدام خلفه ، ولما تبينها وجد أحد رجاله يلهث ، وحين رآه قال له :

ـ أهو أنت ياسيدى الضابط ؟

ـ نعم هو أنا . . . ماذا تريد ؟

ـ إن هؤلاء الوحوش يزحفون زحف الديدان

ـ ثم ماذا ؟

ـ لقد رأيت رجلاً يخرج من القصر وفى يده مصباح مضاء ، وهذا مما أثار الشك فى نفسى ، وبمشى على أن أقتفى آثاره ، وأظل قريباً منه جهد ما أمكننى ؛ أجل ! قد يكون مسيحياً محافظاً على التقاليد ، غير أن الحالة التى هو فيها ، ومخالفة أمرك ، كل ذلك مما يجعل الشك يحوك فى نفسى . وثم أمر آخر ياسيدى الضابط ، ذلك أنى اكتشفت على قيد خطوات منك ، عرمة من الحطب

ولم يكد الجندى يصل إلى هذا الحد من الكلام حتى دوت فى المكان صرخة صدعت السكون العميق ، وانفجرت قنبلة أودت شظية منها بالجندى لساعته ، وامتلع لهيب النيران على بعد عشر خطوات فحسب ، من الضابط الذى أسقط فى يده ، وتبين له أن فى الأمر دسيسة ، وأن الثوار قد تأهبوا للفتك بالأعداء ، واضطرب فى مكانه ، إذ لم يكن معه حسامه ؛ وها هو ذا يرى رجاله وقد تردوا فى ساحة المدينة ، وصمتت الموسيقى ، وتلاشت ضحكات الضباط ، ومر على مخيلته ما سيلاقيه — إذا هو ظل حياً — من محاكمة وإهانة ، فلم يجد أمامه من وسيلة للنجاة إلا أن يلقى بنفسه فى سفح هذا الوادى ، حيث يتحطم جسمه على صخوره الجاثمة هناك :

وإذ كان على أهبة تنفيذ ما اعتزم ، أحس يداً أعاقته عما هو قادم عليه ، فالتفت إلى صاحبها ، فاذا به (كلارا) تهيب به ، أن أسرع فان إخوتى على آثارى قادمون .... للفتك ... بك ؛ وامض إلى الصخرة القائمة عند سفح التل ، وستجد حصان أخى (جوانيتو) فامتطه ولا تتريث لحظة ، وإلا فقدت حياتك

فحدق الفتى فيها دقيقة ، وقد قاضت نفسه بالدهشة ، ولكنه تنبه أخيراً ، إذ ثارت فى نفسه غريزة حب الحياة ، تلك الغريزة التى تتمثل فى الجميع على السواء ، فى حيوان أو إنسان ، وحمل اليه الريح صدى صوت (كلارا) تهيب بأخوتها ، ألا يتريثوا فى اقتفاء آثاره ، كما سمع وقع حوافر دوابهم تسابق الريح ، وهم على صهواتها يرسلون عليه وابلاً من الرصاص الذى كان يمر بجانب رأسه ، ولم يتمهل هو الآخر لحظة فى الطريق بل أسرع بالجواد ، وبعد بضع ساعات كان فى حضرة الجنرال ، وكان فى ثلة من إخوانه يتناولون طعامهم ، فارتمى أمامه قائلاً :

— « مولاى . إن حياتى بين يديك ، افعل بها ما تشاء ؟ »

ثم أخذ يقص على الجنرال قصته ، فاذا الجميع ينصتون اليه وكأن على رءوسهم الطير ، على وجوههم غبرة ، ترهقها قترة ، وألجم الخبر أفواههم ، وجعلهم آذاناً فحسب ، فلما أتمها قال له القائد العام:

— « ياهذا إنى أراك سيئ الحظ ، أكثر من أن تكون مذنباً ، لا تثريب عليك ، وإنى لأرى ساحتك ، إلا إذا رأى المرشال غير هذا »

فسأله الضابط : « وإذا سمع الامبراطور بالحادثة ؟ ؟ »

فأجابه الجنرال : « سيكون القتل نصيبك ، ولكن دعنا الآن من هذا ، وهيا ندبر خطة ننتقم بها من هؤلاء الأوغاد ، أوشاب الانسانية ، لابد أن يكون الثأر شديداً ، حتى تخمد فى نفوسهم الوحشية والدناءة »

وفى ساعة من الزمن ، شدت فرقة من الجند رحالها ، على رأسها الجنرال ، بصحبة الضابط فكتور ، وإذ علم الجنود بمصير زملائهم الذين أخذوا على غرة ، ثارت فى عروقهم دماء الانتقام واستحالوا شعلة تتأجج لحرق الاسبان ، وأقسموا أن ينتقموا لاخوانهم أشد انتقام ، وسرعان ماقطعوا المسافة بين مدينة مندا ، وبين مركز القيادة العليا

ورأى الاسبان أنفسهم محاصرين ، وعلموا أن الجنرال لايتردد لحظة فى الفتك بأهل المدينة ، لا تأخذه فى ذلك شفقة ولا رحمة ، فبعثوا اليه رسل المهادنة ، ورضى هو أن يسلم كل من فى القصر أنفسهم اليه ، من أحقر الخدم الى المركيز نفسه ، واتخذ القصر مركزاً للقيادة ؛ وأمر بكل فرد من أفراد الأسرة الحاكمة ، وخدمها أن يقيد ، ونكل بالثوار أشد تنكيل ، ولم يرحم رجلاً ولا امرأة ولا طفلاً ، بل ثارت فيه غريزته الوحشية ، وبينما هو فى مجلس من رجاله إذ أقبل عليه فكتور مارشاند ، وقال له :

— أسألك يا مولاى أن تجيب لى طلباً ، هو أن المركيز يرجوك أن تفرق بين الأشراف والعامة ، وذلك بأن تطيح رقابهم بيد الجلاد لا بالمشنقة ، وأن تفك قيودهم التى كبلوا بها ، ولن يحاولوا الهرب ، وذلك عهد قد قطعوه على أنفسهم ، وإنه ليتخلى لك عن جميع أملاكه وأمواله إذا عفوت عن أحد أبنائه ووهبته الحياة

فقال الجنرال : إن أمواله قد أصبحت تبعاً للملك جوزيف ، ولكنى سأهبه ما طلب ، وإن كنت أعرف علة رجائه ، فى أن يبقى اسم الأسرة ، ببقاء أحد أفرادها ؛ سأهبه ذلك ، لمن يرضى أن يكون جلادهم ، ويطيح برقابهم ، والآن لا تذكر لى شيئاً منهم ألبتة

* * *

اجتمع الضباط فى الحجرة التالية يتناولون غداءهم ، وكانوا فى نهم شديد إثر ماكابدوه من نصب وتعب ، فأقبلوا على الطعام كالوحوش الضارية قد أتشبت مخالبها فى فريسة دسمة بعد طول سغب ، وتفقدوا الضابط فكتور ، فلم يجدوه بينهم ،

ذلك لأنه مضى إلى الحجرة التي فيها عائلة المركيز وآله أن يرى سادة الأمس مقيدين كالعبيد ، قد ارتسمت على وجوههم دلائل الأسى الشديد ، واللوعة المرة ؛ وأى لوعة أشد على النفس من أن يرى المرء عبدا حقيرا يتحكم فيه وهو السيد الحاكم ؟ وسرت رعشة فى جسد الضابط حين فكر فى هذه الرءوس الجميلة ، وانها ستهوى على أقدام الجلاد مصبوغة بالدماء ، وكأنما هم كانوا يفكرون فى هذا الأمر نفسه ، فقد بعثروا حولهم تنهدات الألم والحزن التى ملأت جو الغرفة ، وإذ أبصروا فكتور يدخل حجرتهم اشرأبت أعناقهم ، طمعاً فى أن يكون حاملا اليهم بشرى العفو ، فأمر الجند أن يفكوا قيود السادة ، ومضى هو بنفسه يحل وثاق (كلارا) فقابلته على صنيعه هذا بابتسامة اغتصبتها اغتصاباً ، ومس فى رفق ذراعها البضة الناعمة ، وأعجبته خصلات شعرها الفاحم ، المتهدل على جبينها الوضاء ، وفتنة قدها المشوق الجميل ، وخصرها الأهيف ، فسألته هل نجح فى مهمته ، فهمهم همهمة حزينة ، وجال ببصره فى وجهها ووجه اخوتها الثلاثة ، وكان (جوانيتو) أكبر الأبناء يبلغ من العمر ثلاثين عاماً ، وأخوه (فيلب) عشرين ربيعاً ، وكان (عمانويل) يبلغ ثمانية أعوام ، ذا أنف رومانى وطلعة جميلة ؛ ثم جمع أطراف شجاعته ، وأخبرها برأى الجنرال ، فسرت رعدة الرهبة فى أوصالها ، ولكنها تشجعت ومضت تخبر أباها بما أمره اليها فكتور ، وزادت عليه قولها : — أبى عليك أن تأمر (جوانيتو) وعليه أن يصدع بأمرك اذا كان مخلصاً لك ، ففى طاعته اياك ، وتلبيته لرغبتك اسعادنا ! فلما سمعت الأم ذلك ، أحست بالأمل يعاودها ، وظنت أن نجاتهم أصبحت قاب قوسين ، وما علمت أن المركيز إذ ذاك يطلب من ولده أمراً ، تنهد له الجبال هداً ، واذ تبينت حقيقة الأمر والطلب ارتدت الى الوراء ، تعلوها صفرة اليأس ، وعرف جوانيتو السر فثارت دماء الغضب حارة فى عروقه ، وهب ثائراً كالأسد ، قد ألقى نفسه أسير قفص من الحديد ، بعد أن كان بطلا الثرى ، فى زهو الأمير ، ويرى الغابة كلها تكاد تضيق عن خطى أقدامه ، ولكن الأب هدأ كل ذلك ، بأن قال : « جوانيتو »

فكانت إجابة جوانيتو هزة الرفض من رأسه ، وارتمى خائراً على مقعده ، يسمد ناظريه فى أبويه ، وقد تجلت الدهشة والأسى والغضب فى عينيه الحائرتين ، فلما رأت (كلارا) إصرار أخيها على الرفض ، تركت مكانها الى حيث جوانيتو ، وطوقت عنقه بذراعيها الفضتين ، وجثت أمامه وقبلته فى عينيه قائلة :

ـ « أى جوانيتو : يا أعز ما أملك ، آه ! . . . ما ألذ الموت إذا كان من يدك ! . . . إنك لا تدرى حلاوته . . . كما أشعر بها الآن . . . أنقذنى . . يا جوانيتو . . من يدى السفاح . . اللوث اليدين . . . حتى لا يقال . . . إن جلاداً حقيراً . . . أطاح برقاب العائلة الحاكمة . . وأنقذنى من بين براثنه . . وبراثن رجل آخر »

ثم نظرت شزرا الى فكتور ، نظرت اليه نظرة تفيض حقداً وكراهية واحتقاراً ، وكأنها بذلك تثير فى نفس أخيها الحقارة للفرنسيس ، وتشعل الضغينة فى نفسه عليهم ، . . . ثم قال له أخوه فيليب متوسلاً : « كن شجاعاً صنديداً وإلا محوت عائلتنا الشريفة من العالم »

وأمره الأب ، فلم يلب طلبه ، فجثا أمامه ، هو وإخوته جميعاً ورفعوا أكفهم مستوسلين اليه أن يضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة ، وأن ينقذ اسم العائلة من أن يدنس ، وعرف الأب من أين تؤكل الكتف ، فأهاب به قائلاً : « أى بنى . أغادرتك شجاعة الاسبانى ، وإحساسه الشريف ؟ أأجثو أمامك . . . وأتوسل اليك . . . ولا ترد طلبى إلا خائباً ؟ أتفكر فى ألمك فحسب . . ولا تزنه بآلامنا جميعاً . . إذا أصررت على المكابرة » ثم التفت الى زوجته قائلا : أهذا ولدى يا زوجتى ؟

فصاحت به الأم فى يأس : « سيلبى طلبك . . أيها المركيز !! » ولمحت جبين جوانيتو ينعقد أكثر ، وتبينت أنه يألم لها أكثر من الجميع ، وحينذاك كانت الثانية « ماركينا » قد تعلقت بأطراف ذيل أمها ، بقبضتيها الضعيفتين ، وأخذت تذرف الدموع ، فلما شاهدها « فيليب » انتهرها ولامها ، وإذ ذاك دخل الحجرة كاهن المدينة ، فالتفوا حوله كصغار الطير ، ومضوا به الى جوانيتو الصامت ، فلم يستطع مرشاند ، أن يرى هذا المنظر الأليم ، فبارح الغرفة الى حيث اجتمع الجنرال مع بعض قواده يجرعون الخمر ، وقد أصدر أمره باحضار فرقة من الجند تذب الناس عن أن يقربوا من جثث الخدم المشنوقين ، عدلاة أمام أعين السابلة ، ووقف الجلاد بهيئته المفزعة ليحل مكان جوانيتو إذا خانته شجاعته ، ولم يستطع أن يقوم بتنفيذ

ما عهد اليـه ، وصدع هذا الـكون الضارب أطنابه على المكان وقع أقدام عائلة المركيز ، يحيط بهم الجند مشهرين سيوفهم ، يلمع فى ظباها الردى ، ولم تفارق الهيبـــة أفراد الأسرة ، وكانوا يتقدمون الى حيث النطع ممـدود فى خطوات هادئة ، لا أثر للخوف أو الاضطراب فيهـا ، غير أن أحدهم قد علتـه صفرة الأموات ، متـكئاً على ذراع الـكاهن الذى أخذ يهدئ روعه المضطرب ، بترانيم دينية ، فعرف الجميع حينئذ أن (جوانيتو) سيقوم بمهمـة الجلاد فى اطاحة الرقاب ، وجثا الجميع قريبين من المقصلة ، وأى مشهد آلم للنفس من أن ترى عزيز قوم ذل ؟ لقد كان المركيز وزوجته وابنتاه ، وولداه ، أمام جوانيتو ، الذى أمر اليه الجلاد بعض الـكلمات

* * *

حينذاك اقتربت (كلارا) من أخيها ، وصاحت به : جوانيتو ، ابدأ بى إذا أردت أن ترفق ... بشجاعتى المنهوكة ... هيا .. أطح رأسى أولاً ! !

وساعتئذ أبصر الناسُ الضابطَ (فيكتور مارشاند) مسرعا نحو (كلارا) التى جثت على ركبتيها تتأهب للأمر الواقع ، وتستعد لأن يطاح رأسها ، فلما حاذاها تماماً قال لها فى أذنها : « إن الجنرال ليعفو عنك ويهبك الحياة إذا رضيت بى زوجا ! »

فصوبت اليه نظرة ملؤها الـكبرياء بنفسها ، والازدراء له ، ثم صاحت بأخيها ، كأنها اللبؤة الضارية : « هيا ، ياجوانيتو . . فانى . . . على أتم الاستعداد . . . . » وإذ ذاك أبصر الناس رأسها الجميل يتـدحرج تحت قدمى أخيها ، وقد انفصل عن جسدها ، وسرت الرعشة فى جسد أمها ، ولـكنها ملـكت عواطفها ، وتقدم أخوه عمانويل وسأله : « أترانى فى مكانى تماماً . . أيها العزيز جوانيتو ؟ »

ثم أقبلت اليه أخته الصغيرة (ماركينا) والدموع تنهمر من عينيها ، فسألها : « أتبكين ياأختاه ؟ »

فقالت : نعم ياحبيبى جوانيتو ، إنى أبكى من أجلك . . . . اشد ما يؤلمنى أن تظل وحيداً حين تتفقدنا جميعاً فلا تجدنا معك »

ولـكنه رفع السيف وأهوى به على رقبة الصغيرة ، وإذ ذاك تقدم منه أبوه المركيز ، فصوب ناظريه ، وصمدها ، فى دماء أبنائه الجارية تحت قدميه ، كأنها المياه المتدفقة شاهدة على ظلم الانسان لأخيه الانسان ، ثم التفت ناحية الجماهير الذين عقدت الدهشة ألسنتهم ، فـكانوا أصناماً لاتتكلم ، أو تتحرك تأثرا من هذا المشهد المروّع ، ثم مد يده الى جوانيتو ، وصاح فى صوت قوى النبرات حادها ، وقال :

« أيها الاسبانيون ! إنى أبارك ولدى ، وأهبه دعوات الأبوة والآن هيا أيها المركيز . أطح رأسى ، ولا يأخذك الخوف أو الرعب ، هيّا . لا تثريب عليك »

فلبى نداء أبيه صامتاً حزيناً ، وإذ ذاك أقبلت أمه ، منهوكة القوى ، خائرة الأوصال ، كيف لا وقد رأت أبناءها جميعاً ، وزوجها المركيز ، تطاح رقابهم ، كأنهم الماشية بل أحقر ، ذلك قلب الأم الذى :

لا ربة النسيان تر حم حزنه وترى بكاه
كلا ولا الأيام تبـ لى فى أناملها أساه
إلاّ إذا ضفرت له الـ أقدار اكليل الجنون
وغدا شقياً ضاحكاً تلهو بمرآه السنون

أقبلت أمه متكئة على ذراع الـكاهن ، ونظرت إليه نظرة الوداع ممزوجة بأحرّ الألم ، فما رآها حتى تنبهت حواسه الخامدة وثار غاضباً ، وقال :

— « إن تديها هذين قد أرضعانى صغيراً »

فانتفض الجميع ، حين سماعهم هذا ، وانتزعت تلك الـكلمات صرخة الفزع من قلوبهم جميعاً ، وسكنت ضحكات الضباط ، وعرفت المركيزة وقتئذ أن شجاعة جوانيتو وَلّت ، ولم يمد ذلك القوى ، فجمعت ما تبقى من شجاعتها المبعثرة ، ثم قفزت من فوق قمة المنحدر فهوت إلى القاع ، وقد مزقتها الصخور الجاثمة فى أسفله شر ممزّق ، فهتف الجمهور الشاهد هتاف الاعجاب ، أما جوانيتو فقد رفد مستجى مغمى عليه ، فحملوه إلى الخارج حيث عاش وقد أسموه (El Verdugo) (الجلاد)

حسن محمد عبشى

التنويم المغنطيسى ١٠
٢٠٠ صحيفة بالصور - كتاب علمى عملى
قراءة الافكار وعلوم نفسية ٥
ملكات العقل الباطن ٥
موجز التنويم بالصور ١
للأستاذ وليم سرجيوس المحامى بمصر
شارع الترعة البولاقية نمرة ١٥٦ بالبستان

البريد الأدبي

سرقة أدبية !؟

قرأت كلمة في بريد الرسالة (١١٥) بتوقيع «حبيب زحلاوي» يتهم فيها «الشاعر الدكتور ابراهيم ناجي» بأنه سرق قصيدته «عاصفة روح» من قصيدة الشاعر الدمشقي ميشيل عفلق (؟) ونحن لم نقرأ قصيدة «عاصفة روح» ولا قصيدة (عفلق) ولا نعتدّ بهذا الشعر، لأنا لا نجد فيه روحاً كالتي نريد، ولا لغة كالتي نرتضي، ولكنا مع هذا نعلم أن الدكتور ناجي من نابغي الشعراء الشباب في مصر، ونعرف له أشياء بالغة في بابها حدّ الجودة. فأحببنا أن نطمئن الدكتور الى أنه ليس في دمشق شاعر يسمى ميشيل عفلق ألبتة، وربما كان فيها كاتب صحف، أو ترجمان قصص، بهذا الاسم، أما شاعر فلا . . .

وقد سألنا عن القصيدتين صديقنا الشاعر أنور العطار، فأكّد لنا أن قصيدة عفلق مسروقة من قصيدة لشاعر من شعراء سورية في المهجر، وأنّ هذا هو السرّ في أنه لم ينظم في حياته غيرها !

على أن هذا المذهب الأدبي الجديد لا ينكر فيما نظنّ السرقات الأدبية. لأنه لو أنكرها وحرّمها، لسقط سقوطاً لا قيام له من بعده، لأن في كل قصيدة أو مقالة من هذا الأدب الجديد ضميراً مستتراً يعود الى شاعر أو كاتب انكليزي أو فرنسي. ثم إن هذا الأدب لم يكتب بلغة عربية، تضمن له البقاء، وتكفل له الخلود، وليس فيه إلا معناه؛ فاذا خسره فقد خسر كل شيء، وماذا يبقى من أدب معناه مسروق، ولغته مرذولة ساقطة ؟ ...

ولعلّ الله يوفقنا الى تبيان هذا في مقال آخر، نردّ فيه هذه البدعة المنكرة في الأدب، بدعة أقوام سرقوا المعاني والأفكار، ثم لم يقدروا أن يصوغوها صياغة عربية فقالوا: إنه لا شأن للألفاظ، ولكن الشأن للمعاني والأفكار

علي الطنطاوي

حول سيرة تيمورلنك

قرأت في العدد السادس عشر بعد المائة من «الرسالة» الغراء ما كتبه الأديب الباحث م . ع . ع عن مصادر ترجمة تيمورلنك وابن عربشاه، ولعل من المفيد أن أذكر بعض المراجع التي ترجمت لهما مما لم يذكر الأديب الكاتب، فقد ترجم له ابن العماد في كتابه (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) في نحو خمس صفحات كبيرة من الجزء السابع، وكذلك السخاوي في (الضوء اللامع)؛ فقد ترجم له في أربع صفحات كبيرة من الجزء الثالث بتحقيق دقيق، ولابن عربشاه ترجمة واسعة أيضاً في الشذرات في أربع صفحات وكذلك في الضوء اللامع

محمد شفيق

سلطان الفن في نظم التربية

منذ بضعة أعوام عنى ولاة الأمر في انكلترا بتوسيع دائرة التعليم الفني في بعض درجات التعليم، ولاحظ الخبراء أن هذه الخطوة أثمرت ثمراً حسناً، وارتفع معيار الذوق الفني لدى الجمهور، وقد رأى مجلس الفن والصناعة أن يتقدم إلى «ديوان التربية» (أو مجلس المعارف الأعلى) باقتراحات جديدة لترقية التعليم الفني؛ وخلاصة هذه الاقتراحات هو أن يدخل في برامج التعليم في المدارس الثانوية والمتوسطة والعالية نظام ثابت للتعليم الفني، وأن يخصص فيها لهذا النوع من التعليم من العناية قدر ما يخصص لتعليم اللغات أو العلوم أو الرياضيات، وأن الفن يجب أن يكون مادة اجبارية في برنامج مدارس المعلمين، وأنه يجب تشجيع استخدام المعلمين الاخصائيين في الفن. وتبوؤ الفن هذه المكانة في نظام التعليم يبث في أذهان الشباب حب الجمال في جميع مطالب الحياة

ويقول مجلس الفن إن دراسة الفن يجب ألا تكون لقصد الفن ذاته، وإنما يجب أن يكون التعليم الفني أداة للرخاء الاقتصادي. وذلك أنه إذا مزج الفن والصناعة فان معيار الصناعة يرتفع ارتفاعاً محسوساً. ولهذه النقطة أهمية خاصة،

لأن أبناء الأمة إذا درجوا على تقدير الفن والنماذج الفنية ، فانهم كمستهلكين لابد أن يطالبوا بمنتجات تتفق مع أذواقهم الفنية ، ولهذا يضطر أصحاب المصانع لاستخدام الفنيين لسد حاجاتهم ، وهذه خطوة هامة فى ترقية الصناعة

ويرى مجلس الفن أيضاً ألا يقتصر على تعليم الفن داخل المدارس ، وإنما يجب أن يسهل السبيل للمتطوعين خارج المدرسة ، ويجب أن يكون للفن أثره فى الخط ، وفى شرح دروس التاريخ والجغرافيا والآداب والطبيعيات والتدبير المنزلى . هذا ولما كانت المدارس الحديثة تبنى جامعة لكل أسباب الراحة والصحة ، فانه يجب أيضاً أن يعنى بزخرفتها عناية خاصة حتى يعيش النشء بين مناظر الفن والجمال

وليس الفن الانشائى خاصة لأقلية صغيرة من الناس ؛ فقد دلت معارض الأطفال الفنية على مقدرة لم تكن للنشء من قبل . وقد آن الأوان لأن يشغل التعليم الفنى مكانته فى جميع درجات الدراسة ، وأن يكون من أهم العناصر فى نظم التربية وبرامج التعليم

هجرة الكتاب والعلماء من ألمانيا

ليس من ريب فى أن قيام طغيان الوطنية الاشتراكية فى ألمانيا كان ضربة للعلوم والآداب والفنون الألمانية ، وقد ظهرت آثار السياسة الهتلرية فى انحطاط مستوى الدراسات العلمية والفنية فى ألمانيا انحطاطاً ظاهراً ، وفى تدهور الصحافة الألمانية إلى الحضيض بعد أن كانت فى مقدمة صحافات العالم ، وفى انحلال النهضة الأدبية الألمانية ؛ ومن المعروف أن معظم العلماء الألمان قد اضطروا إلى الفرار من ألمانيا لأنهم من اليهود أو لأنهم لا يناصرون النظام الهتلرى . وقد أثيرت هجرة العلماء الألمان فى مؤتمر استقلال المباحث العلمية الذى عقد أخيراً فى أكسفورد ، وتلا الأستاذ نورمان بنتوتش الانكليزى على المؤتمر تقريراً ضافياً عن الاضطهادات التى وقعت فى ألمانيا على العلماء الذين رفضوا مناصرة السياسة النازية ، ويبدو من الاحصاءات التى تلاها أن العلماء الألمان الذين فقدوا مناصبهم فى ظل الحكم الهتلرى يبلغ عددهم زهاء ألف ومائتين ، وعلق الأستاذ على ذلك بقوله إن مطاردة العلماء على الجملة إلى مثل هذا الحد ليس لها نظير فى التاريخ منذ فتح الأتراك القسطنطينية فى سنة ١٤٥٣ م ، وهو فتح أعقبه هجرة العلماء البيزنطيين إلى غرب أوربا . ومما يجدر ذكره أن نحو خمسين من هؤلاء العلماء المشردين قد استخدمتهم الحكومة التركية فى معاهد استانبول وأنقرة

هذا وأما الكتاب الألمان فيكفى أن نعرف أن أكابرهم يعيشون الآن فى المنفى فى سويسرة وانكلترا ، ومنهم كثير من الكتاب الآريين (غير اليهود) مثل توماس مان عميد الأدب الألمانى المعاصر والحائز على جائزة نوبل ، وأخوه هنيرش مان وولده كلاوزه ، وقد جرد معظم أولئك الكتاب من أملاكهم وأموالهم فى ألمانيا وحظر على المطابع الألمانية أن تخرج كتبهم كما حظر دخولها فى ألمانيا ، ومعظمهم الآن يخرج كتبه مترجمة إلى الانكليزية أو الفرنسية

وأما الصحافة الألمانية ، فان أولئك الذين عرفوها أيام ازدهارها وعظمتها أعنى قبل ثلاثة أعوام ، يدهشون اليوم حين يرون ما انتهت اليه الصحف الألمانية من ضآلة فى الحجم والمادة ، ومن تشابه ممل فيما تكتب وتعرض وتناقش

الرياضة والمخدرات

يفتك وباء الأفيون ببلاد اللاو التى يسيطر عليها الانكليز كما يفتك بالصين وكل الشعوب التى تنتمى إليها من الوجهة الجنسية أو من وجهة الحضارة . وقد قرأت السيدة هرسبروج عضو مجلس العموم الانكليزى ومندوبة انكلترا فى اللجنة الخاصة بمكافحة الأفيون فى عصبة الأمم ، تقريراً فى اللجنة عن الوسائل التى تجرى عليها السلطات الانكليزية فى بلاد اللاو فى محاربة وباء المخدرات ، قالت فيه إن هذا الكفاح لا يجرى فقط بالرقابة والحظر ، ولكنه يجرى بوسائل اجتماعية يراد بها اضعاف الرغبة فى تذوق المخدرات وخصوصاً بين الشباب . ومما يلاحظ فى بلاد اللاو أن عادات الشعب قد تغيرت تغيراً كبيراً عما كانت عليه منذ عشرة أعوام ، ولا سيما بين الطبقات الصينية . ذلك أن الألعاب تستغرق الآن اهتمام الشباب من الجنسين . وقد أنشئت ملاعب كبيرة فى المدن والقرى للعب الكرة ، وهى تجذب جماهير كبيرة ، وأنشئت متنزهات عامة فى المدن الكبرى يؤ الصينيون من مختلف الطبقات ، واتخذت اجراءات ووسائل صحية كثيرة ساعدت على ارتفاع المعيار الصحى فى البلاد ، وأنشئت مستشفيات عديدة لمعالجة المرضى والمدمنين ، وقد ظهر أثر التيار الرياضى واضحاً فى الجيل الحالى ، فهو أقل ميلا إلى الانصراف إلى لذة المخدرات وأكثر شغفاً بوجوه التسلية القائمة على ترويض الجسم والذهن

الكتب

٢ ـ ثلاث رسائل

بخط ياقوت الحموى الرومى

للأديب الفارسى عباس اقبال

ترجمها الدكتور عبد الوهاب عزام

قياس عبارات معجم البلدان هذه بما خطه ياقوت فى آخر النسخة التى بيد الكاتب نقلاً عن خط ابن فارس ، لا يدع ريبة فى أن هذه النسخة هى عين النسخة التى كتبها ياقوت لنفسه من نسخة ابن فارس

ختمت هذه النسخة من تمام الفصيح ، كما يقول ياقوت فى آخرها ، يوم الأحد سابع ربيع الآخر سنة ٦١٦ فى مرو الشاهجان ، ويصرح ياقوت نفسه فى معجم البلدان أنه كان فى مرو الشاهجان سنة ٦١٦ ، وكان يُفيد من خزائن الكتب النفيسة فى هذه المدينة ، وأنه فى السنة نفسها ترك المدينة خوفاً من التتار وبلغ خوارزم (الجرجانية) بعد قليل . وكذلك يصرّح فى معجم البلدان ومعجم الأدباء أنه كان بخوارزم فى ذى القعدة من هذه السنة . ثم تركها هرباً من التتار أيضاً[1] . ومن هذا يتبين أن ختم هذه النسخة فى ربيع الآخر سنة ٦١٦ وقع قبل فرار ياقوت من مرو الشاهجان بشهرين أو ثلاثة

وأما كتابا الرمّانى فلسوء الحظ سقط أولهما من هذه النسخة كما سقط قسم من أول الكتاب الثانى ، كتاب الحروف كما قلنا آنفاً

بين كتاب تمام الفصيح والقسم الباقى من كتاب الحروف ورقة واحدة بخط ياقوت لا صلة بينها وبين هذين الكتابين . والظاهر أنها خاتمة كتاب الرمانى الذى سقط من نسختنا . وأول هذه الورقة :

« قابلت به نسخة أبى الفتح محمد بن أحمد بن أشرس النيسابورى التى قرأها على أبى محمد عبيد الله بن محمد الكاتب المعروف بابن الجراذى عن ابن الأنبارى ، وعلى أبى محمد يوسف ابن الحسين الزاق فى سنة تسع وثمانين وثلثمائة . وصححته على اختلاف نضد هذه النسخة ونسخة السماع عن ابن الأنبارى فى تقديم بعض الكلام فى مواضع وتأخيره . وعلقت الحواشى من نسخته . وفرغ من انتساخه بمرو الشاهجان فى عشية الأحد لثمان عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٦١٥ ياقوت بن عبد الله الحموى المولى الرومىّ الأصل ، حامداً لله ومصلياً على سيدنا محمد وآله الطاهرين ومسلماً تسليما »

ثم يتبع هذا بنقل فصل من كتاب لحن العامة لابن حاتم السجستانى . وقد سطر فى آخر كتاب الحروف للرمانى : « آخر كتاب الحروف . والحمد لله رب العالمين . وصلواته على سيدنا محمد وآله . وفرغت من نقله من خط أبى الحسن عمر بن أبى عمر السجستانى بمرو الشاهجان فى محرم سنة ست عشرة وستمائة . وكتب ياقوت بن عبد الله الحموى حامداً لله على سوابغ نعمه »

* * *

يتبين مما نقلناه من أوائل وأواخر النسخ التى خطها ياقوت فى هذه المجموعة ، ومن الشواهد التى أوردناها من معجم البلدان ومعجم الأدباء — ا — أن ياقوت صرح فى خمسة مواضع من هذه النسخ بأن هذه المجموعة خط يده وملكه — ب — وأن ياقوت كتبها فى تواريخ رمضان سنة ٦١٥ ، والمحرم سنة ٦١٦ ، وربيع الآخر سنة ٦١٦ — ج — وأنه كتبها فى مرو الشاهجان الحاضرة المشهورة للسلطان أبى الحارث معز الدين سنجر بن ملكشاه السلجوق التى يقول عنها ياقوت فى معجم البلدان إنه عاش فيها قرير العين مستفيداً من مكاتبها الكثيرة ، وأن حبها تمكن فى قلبه حتى أنساه الأهل والعيال وسائر البلدان ،

---

(١) معجم البلدان فى كلمة « جرجانية » وكلمة « خوارزم » ومعجم الأدباء ج ٦ ص ١٥٥

الاسلام الصحيح

للأستاذ اسعاف النشاشيبي

للأستاذ محمد بك كرد علي

الاسلام الصحيح هو آخر كتاب عني بتأليفه أديب فلسطين السيد اسعاف النشاشيبي على أسلوب طريف في الوضع، استكثر له من المادة، واجماً في استقائها إلى الأمهات المعتبرة في الأكثر، مستخدماً الخطابيات للتأثير في ذهن السامع وقلبه، ولكنّ خطابياته مدعومة بالنص المقبول والشاهد والمثل، وتتخللها أنواع من البلاغات، وفصح وشوارد من اللغة يحاول الأديب احياءها، يعرضها على القارئ في خلال كلامه شارحاً لها في أسفل الصفحة

وموضوع هذا التأليف يدور على مسائل: منها أن صاحبه يدعو إلى الأخذ بالقرآن، ويهيب بفرق الاسلام إلى الالتفاف حول رايته الجامعة، وتكلم على الوهابية والزيدية وبيّن منشأهما وعلى الامامة، وأثبت من كتب الثقات أن عترة النبي هم أسرته وأن جماعة النبي إنما هم المسلمون كلهم أجمعون، فليس للنبي قرباء ولا بعداء، وبرهن على أنه ليس في الاسلام طبقات وان بعضهم أبوا إلا أن يكون المسلمون طبقات كمثل الهنادك في الهند فجماعة تنوقت في طغيانها وإلحادها فألهت من ألهت، وما هذا (والله) بطغيان ولا ضلال، لكنه فنون من الجنون . . . وجماعة أنزلت رجالاً من هاشم في غير منزلتهم، وأعطتهم ما ليس في الدين لهم، ومشايعتك المرء على باطل إنما هو خذلان، والتقريظ والتمجيد بغير الصدق وغير الحق زور وبهتان. وقد جاء الاسلام ليحرر فأبى معتاد الاستعباد في الدين والدنيا من قبل إلا استعبادَه، وإلا أن يشرك بعبادة ربه عبادَه» ، وأفاض في مراد الشريعة من المودة في القربى وتفسير آية التطهير، وفي الصلاة على النبي، وفي نشأة نقابة الأشراف، وفي الحديث والمحدثين وجناية هؤلاء كفعل بعض المفسرين على الدين يوم قالوا: إن من الآيات ما له ظاهر ومنها ما له باطن الى غير ذلك مما نقض فيه صراحاً ما يذهب إليه بعض فرق الاسلام. وأثبت أن نهج البلاغة المنسوب لعلي ابن أبي طالب يحمل كثيراً من الصفحات التي لا يعرفها صاحبه، وأن في تلقين الأحداث كل ما في هذا الكتاب على أنه صح عمن نسب إليه رضي الله عنه لا يخلو من ضرر على الاحداث، إلى غير ذلك من المطالب التي حل بها ما رآه أولى بالتقديم والمعالجة لرفع الخلاف من صفوف من كانت قبلتهم واحدة، ومواردهم التي يستقون منه هم فيه شركاء لا تباغض بينهم، والكتاب مفيد لمن يطالعه مطالعة تدبر وتفكر؟

محمد كرد علي

وأنها لو لم تقع في أيدي التتار فسيطر عليها الدمار ما فارقها حتى الممات

والحق أن من العجيب أن تنجو هذه المجموعة الصغيرة التي هي من أنفس ذكريات تلك القرون السالفة، ومن أعز ما ملكه عالم عظيم مثل ياقوت الحموي، من نيران التتار المستعرة، وغير الزمان المدمرة، فها هي الآن بعد سبعة قرون ونصف على مكتبي ذكرى من عظمة المدنية الاسلامية في تلك العصور، ومذكرة برجل من مفاخر هذه المدنية الوضاءة: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي

عباس اقبال

باريس ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤

كَشْفُ الْخَفَاءِ وَمُزِيلُ الْإِلْبَاسِ

عَمَّا اشْتَهَرَ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ

لِلْمُفَسِّرِ الْمُحَدِّثِ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَجْلُونِيِّ الْجَرَّاحِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١٦٢ هـ

لا يكاد يستغني عنه مشتغل بالعلوم الاسلامية لاسيما علم الحديث، والحاجة إلى مثله شديدة في هذا الزمن الذي كثر فيه خوض الناس في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالصدق وبالكذب. وهو مرتب على حروف المعجم في جزءين، ثمنه ثلاثون قرشاً

ذيول تذكرة الحفاظ

هي مجموعة للحسيني وابن فهد والسيوطي ترجموا فيها الحفاظ المتأخرين من عهد الذهبي إلى السيوطي. وهي ستمائة صفحة بعشرين قرشاً

يطلبان من مكتبة القدسي بباب الخلق بحارة الحداوي بدرب سعادة بالقاهرة